من أسرار النظم في سورة النبأ

الدكتور / يحيى بن محمد بن إبراهيم عطيف
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية
جامعة الملك خالد بأبها

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فموضوع هذا البحث " من أسرار النظم في سورة النبأ " ، وهو يأتي حلقة ثانية في سياق دراستي لبلاغة القرآن الكريم التي بدأتها ببحث " من بلاغة الدعاء في القرآن الكريم " وستليها حلقات أخرى إن شاء الله تعالى .

ومن أهم الدوافع التي دفعتني إلى بحث هذا الموضوع إيماني بأهمية الدراسة البلاغية التطبيقية التي تتجه إلى تطبيق قواعد البلاغة على النصوص البليغة ولا سيما النص القرآني ؛ لأن في ذلك إمداداً لها بالماء الذي يزيل عنها الجمود والجفاف الذي لحقها في العصور المتأخرة ، فبهذه الصلة بين القاعدة البلاغية والنص تحيا الدراسة البلاغية وتزدهر ، فتحقق أهدافها في تربية الأذواق ؛ لمعرفة الإعجاز البياني للقرآن الكريم وفهم قيمه العالية ومعانيه السامية . ومن الدوافع ما رأيته في هذه السورة الكريمة ـ كغيرها من سور القرآن الكريم ـ من وفرة مظاهر الإعجاز البلاغي النظمي وتعددها على الرغم من أنها من قصار السور ، ومع ذلك لم تحظ بدراسة بلاغية مخصصة تبسط القول في استكشاف أسرار نظمها ولطائف بلاغتها .

ويستهدف هذا البحث توظيف قيم البلاغة وقواعدها لتجلية بعض مظاهر الإعجاز النظمي في هذه السورة الكريمة ، وبيان بعض أسراره ولطائفه . وقد استعنت في إعداده بكتب التفسير وبخاصة تلك التي عنيت بالجوانب البلاغية كتفسير الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ) وتفسير أبي السعود (ت ٩٨٢هـ) وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، مضافاً إليها ما استطعت الوقوف عليه من المصادر القديمة والمراجع الحديثة اللغوية والبلاغية والأدبية وغيرها التي تتصل بموضوع بحثي . وجعلته في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة . تحدثت في التمهيد أولاً عن مفهوم النظم عند البلاغيين وعناصره ، وتحدثت فيه ثانياً عن سورة النبأ والغرض منها وأقسامها أو مقاطعها بحسب معانيها وخصائصها .

وقسمت البحث من حيث عناصر النظم إلى ثلاثة فصول :

تحدثت **في الفصل الأول:** عن خصائص اللفظ ، وفي **الفصل الثاني**: عن خصائص التركيب ، وفي **الفصل الثالث**: عن خصائص التصوير ، وختمت البحث بخاتمة سجلت فيها بعض النتائج التي انتهيت إليها .

وقد اتبعت منهجاً في دراسة أسرار النظم وخصائصه في هذه السورة الكريمة : أبدأ بتحديد مفهوم الخاصية البلاغية وأشير إلى قيمتها البيانية أو الجمالية ، ثم أورد لها نماذج من السورة بحسب ترتيب آياتها ، وأقوم بتحليلها بلاغياً محاولاً إبراز أسرارها وأغراضها البلاغية .

هذا والله أسأل أن يجنبني الزلل ، وأن يوفقني إلى خدمة كتابه الكريم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ٣ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧
وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ
مَعَاشًا ١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ١٦ إِنَّ يَوْمَ
ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ
فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١
لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمًا
وَغَسَّاقًا ٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
كِذَّابًا ٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ إِنَّ
لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤ لَّا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ
يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ٤٠ ﴾

التمهيد :

١- مفهوم النظم عند البلاغيين وعناصره :

وردت مادة " نظم " ومشتقاتها في معاجم اللغة بمعنى التأليف والجمع والاتساق . جاء في لسان العرب : " النظم : التأليف ـ نظمه ينظمه نظما ونظاما ، ونظّمه فانتظم وتنظم . ونظمت اللؤلؤ : أي جمعته في السلك ، والتنظيم مثله . ومنه نظمت الشعر ونظّمته ... وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته . والنظم : ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما وأحدته نظْمه . والنظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد . وكذلك هو في كل شيء حتى يقال : ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته . والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ، وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام وجمعه نُظُم . والنظام : العقد من الجوهر والخرز ونحوهما وسلكه خيطه ... والانتظام الاتساق ... "(١) .

وفي الاصطلاح " تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل " (٢) .

وقد مر مصطلح النظم بمراحل قبل أن يتحدد مفهومه على النحو الذي يبدو في هذا التعريف الاصطلاحي .

فقد ظهرت فكرة النظم القرآني منذ القرن الثالث الهجري عندما بدأ البحث في إعجاز القرآن إثر تعرض فكرة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم لبعض المطاعن (١)

---

(١) لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، مادة " نظم "، دار صادر ، بيروت ، ط/٦ ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م ، وانظر في المادة نفسها : أساس البلاغة : جار الله محمد بن عمر الزمخشري ، تح : عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) ، والقاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، بولاق ، القاهرة ، ط/٣ ، ١٣٠٢هـ . والمعجم الوسيط : إخراج : د. إبراهيم أنيس وزملائه ، ط/٢ ، دار الفكر (بلا تاريخ) . وفيه ((... ويقال : نظم القرآن : عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة)) .

(٢)التعريفات : الشريف علي بن محمد الجرجاني ، تح : إبراهيم الإبياري ، ٣١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤١٣هـ =١٩٩٢م .

نتيجة لعوامل متعددة هيَّأت الجو أمام المشككين منها " سيطرة العناصر الشعوبية ، وإمساكها بزمام السلطة ، ورواج الثقافات الأجنبية الوافدة وقيام الفرق الكلامية الإسلامية على أساس الخصومة والمنافرة فيما بينها " (٢). حينئذ " مست الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحة (القرآن) ونظمه ووجه تأليف الكلام فيه " (٣). فعد العلماء والأدباء نظم القرآن وجهاً من وجوه إعجازه .

ومن أوائل القائلين بالإعجاز بالنظم أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فقد رد رأي أستاذه إبراهيم بن سيار النظام (ت ٢٢٨هـ) الذي أنكر إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه ، وعلله بالصرفة فقرر أن " الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز ـ كما يقول ـ أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم " (٤). وألف الجاحظ كتابه المشهور المفقود " نظم القرآن " والذي أشار إليه في بعض مؤلفاته الأخرى كقوله في الحيوان مفنداً موقف خصمه : " كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه ... " (٥). ومن رأيه في الإعجاز بالنظم قوله : " في كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد " (٦)، وكلمة

---

(١)انظر : تأويل مشكل القرآن : عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تح : السيد أحمد صقر ، ٢٤ وما بعدها ، دار التراث ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

(٢)انظر : الإعجاز النظمي للقرآن : د.عبدالحميد العبيسي ، ١٣/١ ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٣)تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، ١٥١/٢ ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٧م.

(٤)مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : أبو الحسن الأشعري ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، ٢٩٦/١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٢ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

(٥)الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ٩/١ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م .

(٦)المصدر نفسه : ١٣١/٣ .

النظم عند الجاحظ تأتي مرادفة للتأليف ، وتأتي في بعض المقامات بمعنى البيان والإنشاء [١].

ويتفق ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) مع الجاحظ في رأيه في إعجاز القرآن بالنظم . فيقول في صدر كتابه " تأويل مشكل القرآن " الذي رد فيه على الطاعنين في القرآن والمشككين في أمر إعجازه بالنظم : " الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد . وهدانا بنور الكتاب ... وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ... " [٢]. وأشار إلى أسرار النظم القرآني وعناصره ، ممثلة في الجمال الصوتي الإيقاعي والمعاني الأصلية الخالدة والمعاني البلاغية ، وبذلك استطاع أن يفتح الطريق لمن أتى بعده من البلاغيين أن يتحدثوا بثراء عن عناصر الكلام [٣].

ويشهد مفهوم النظم في القرنين : الرابع والخامس الهجريين تطوراً بجهود بعض العلماء والأدباء كالخطابي والقاضي عبدالجبار وعبدالقاهر الجرجاني .

أما الخطابي (ت ٣٨٨هـ) فقد ألف رسالة في " بيان إعجاز القرآن " أرجع فيها إعجاز القرآن إلى بلاغته ، وشرع في بيانها ، وانتهى إلى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه . ومن حديثه عن النظم وعناصره قوله : " إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلا من نظمه ... واعلم أن القرآن إنما صار معجزا ؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، مضمنا أصح المعاني ... " [٤].

---

(١)انظر : نظرية عبد القاهر في النظم : د. درويش الجندي ، ٢٣ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

(٢)تأويل مشكل القرآن : ٣ .

(٣)انظر : المصدر نفسه ، ٣ وما بعدها ، ومن بلاغة النظم العربي : د. عبدالعزيز عرفة ، ١٤ ، ١٥ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م . وانظر : الإعجاز النظمي : ١٨ .

(٤)بيان إعجاز القرآن : حمد بن محمد الخطابي - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تح : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام : ٢٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨م .

فالخطابي يحصر عناصر الإعجاز ـ متأثراً بابن قتيبة ـ في الألفاظ والمعاني ونظوم تأليف العبارة ، ويقف عند هذه العناصر ، ويوضح مراده بالنظم فيقول: إنه " عبارة عن ارتباط الكلمات بعضها ببعض والتئامها ، وأن هذا الارتباط وذلك الالتئام يحدث صورة في النفس يتشكل بها البيان "[1]. ويرى الأستاذ الدكتور أبو موسى أن معنى النظم عند الخطابي قريب من معناه عند عبدالقاهر " لأنه يعني الروابط بين الكلمات والجمل ، وليس هذا إلا توخي معاني النحو كما يقول عبدالقاهر "[2].

وأما القاضي عبدالجبار (ت ٤١٥هـ) فقد خصص الجزء السادس عشر من كتابه " المغني " للحديث عن إعجاز القرآن ، عقد فيه فصلاً لبيان الفصاحة التي فيها يفضل بعض الكلام على بعض . عرض فيه رأي شيخه أبي هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ) الذي نفى أن يكون النظم بمعناه العام وهو اختلاف الطريقة أو مطلق الأسلوب وجهاً من وجوه الإعجاز ومفسراً لفصاحة الكلام ؛ لأن الإعجاز في رأيه يرجع إلى جزالة اللفظ وحسن المعنى اللذين تتحقق بهما الفصاحة . " وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص ، لأن للخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر والنظم مختلف ، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة ، وقد يكون النظم واحداً وتقع المزية في الفصاحة ... "[3].

---

(١)المصدر نفسه : ١٤ .

(٢)البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : د. محمد أبو موسى ، ١٢٦ ، دار التضامن ، القاهرة ، ط/٢ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(٣)المغني في أبواب التوحيد والعدل : القاضي عبدالجبار ، تح : أمين الخولي ، ١٦/١٩٧ ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م ، وانظر : البلاغة القرآنية في كشاف الزمخشري : ١٢٦ .

ويتابع القاضي شيوخه فيعلل إعجاز القرآن باختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادة (١). ويحس القاضي نقصاً في مفهوم شيخه أبي هاشم للفصاحة " لأنه لم يلاحظ صورة تركيب الكلام ، وهي أساسية في بلاغة العبارة وفصاحتها " (٢) . فعقد فصلاً آخر أوضح فيه المزية في الفصاحة أو العلة التي بها يتفاضل الكلام في فصاحته ، فنفى علاقتها بالألفاظ من حيث ذواتها وبالمعاني وإن كان لا بد منها ، وربطها بالنظم ، ومما قال : " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموقع ، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع ... فالذي تظهر به المزية ليس إلا الإبدال (الاختيار) الذي به تختص الكلمات ، أو التقدم والتأخر الذي يختص الموقع ، أو الحركات التي تختص الإعراب فبذلك تقع المباينة ... " (٣). والقاضي عبدالجبار يريد بضم الكلمات بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة توخي معاني النحو فيما بين الكلم كما يقول عبدالقاهر في تعريفه للنظم كما سيأتي ، يؤيد هذا شرح عبدالقاهر لعبارة القاضي عبدالجبار في سياق تفسيره للنظم في كتابه " دلائل الإعجاز " (٤) .

وتأسيساً على ذلك فمفهوم النظم عند عبدالجبار المستفاد من حديثه عن الفصاحة يقترب اقتراباً شديداً من معناه البلاغي الخاص عند صاحب الدلائل كما

---

(١)انظر : المصدر نفسه : ٣١١/١٦ ، ٣١٨ .

(٢)البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقي ضيف ، ١١٦ ، دار المعارف ، مصر ، ط/٥ .

(٣)المغني : ١٩٩/١٦ ، ٢٠٠ .

(٤)انظر : دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ، ٣٠١ ، ٢ ـ ٣ ، تصحيح وتعليق محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م ، وانظر : بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار : د. عبدالفتاح لاشين ، ٢١٩ وما بعدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

سيأتي ، فهو لا يريد بنظم القرآن " مجرد طريقة مبتدعة في صياغة الكلام تباين ما عرف العرب من منظوم ومنثور ، وإنما انفرد معها برتبة في الفصاحة معجزة ... "(١).

ويعد " كلامه ـ كما يقول الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى ـ مرحلة ثانية في تطور النظم بمفهومه عند عبدالقاهر "(٢)، ويرى بعض مؤرخي البلاغة العربية أنه بذلك وضع أصول نظرية النظم بمعناها العلمي الدقيق(٣).

ويعد الشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أبرز من شرح فكرة النظم مستفيداً من جهود السابقين ، فخصص لها كتابه المشهور " دلائل الإعجاز " سعى فيه إلى أن بلاغة الكلام تكون في النظم ، وأن إعجاز القرآن يرجع إلى خصائص في أسلوبه أو نظمه . وللنظم في نظره معنيان : لغوي وبلاغي .

فاللغوي هو " ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق " ويسميه بالنظم في الحروف ، وهو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضًى عن معنى ... "(٤).

والبلاغي ويسميه نظم الكلم ، وحقيقته " أنك تقتفي في نظمها (الكلم) آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق (ويعني) التناسق في الدلالة والتلاقي في المعاني على الوجه الذي اقتضاه العقل "(٥) .

ويبين أن المعاني التي يتعلق بها الفكر ويرتبها في النفس إنما هي معاني النحو وليست معاني الكلمات في ذاتها . يقول : " إنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني

---

(١)الإعجاز البياني للقرآن : د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، ١/١١٠ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٨٧م . وانظر : المغني : ١٦/٣٢١ .

(٢)البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ١٢٧ .

(٣)انظر : البلاغة تطور وتاريخ : ١١٨ ، ومن بلاغة النظم العربي : ٢٠ .

(٤)دلائل الإعجاز : ٤٠ .

(٥)المصدر نفسه : ٤٠ ، ٤١ .

الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو ، فلا يقوم في وهم لا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم ، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلا له أو مفعولا ، أو يريد منه حكماً سوى ذلك من الأحكام ... وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت ، وأزل أجزاءه عن مواضعها ، وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها . فقل في " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل : من نبك قفا حبيب ذكرى منزل ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها ؟ ... "[(١)]

فواضح مما ذكر أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ في أنفسها ، إنما يتعلق بمعاني النحو التي يقوم على أساسها ترتيب معاني الألفاظ في النفس ، ثم نرتبها على أساس ترتيب معانيها عند تواليها في النطق .

ولذلك يؤمن بأن التفسير الصحيح للإعجاز النظمي ينبغي أن يطلب في علاقات الكلام النحوية أو معاني النحو كما يسميها . فالنظم عنده هو " توخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام "[(٢)]. ويريد بمعاني النحو الخصوصيات التي هي مقتضى الحال كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف وغيرها ، والأغراض في التعريف هي الأحوال الداعية إليها أو المعاني الثانوية التي يقصد من الخصوصيات إفادتها [(٣)]. وبذلك استطاع عبدالقاهر " أن يفسر النظم تفسيراً رده فيه إلى المعاني الإضافية التي تلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس ، وهي معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند إليه

---

(١)المصدر السابق : ٣١٤ .

(٢)المصدر السابق : ٦٩ ، ٢٨٢ .

(٣)انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : عبدالمتعال الصعيدي ، ١٢/١ ، ١٧ ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة ، ط/٦ (بلا تاريخ) .

والمسند وفي أضرب الخبر وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال ، وفي الفصل بين الجمل والوصل وفي القصر وفي الإيجاز والإطناب "[١].

وهذه الموضوعات هي التي ألف منها من جاء بعده من علماء البلاغة المتأخرين أبواب علم المعاني. يقول الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ): " وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم "[٢].

ويتوسع عبدالقاهر في مفهوم النظم فيدخل فيه الصور البيانية فهي جزء في النظم وليست سر جماله وإعجازه ، فذهب إلى أن " الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث ، وبها يكون ، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخّ فيما بينهما حكم من أحكام النحو ... فلا يتصور فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره ... "[٣].

ويعقد في كتابه " دلائل الإعجاز " فصلا " في النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع " عد منه بعض أنواع البديع كالمزاوجة والتقسيم . وذكر أن " ما شأنه أن يجيء على هذا الوصف (ليس له) حد يحصره ولا قانون يحيط به "[٤]. وتبعه في هذا فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " فعد من القسم الثاني من النظم ثلاثة وعشرين وجهاً جلها من أنواع البديع المعنوية منها المطابقة والمقابلة[٥].

---

(١)البلاغة تطور وتاريخ : ١٨٩ .

(٢)الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تح : د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط/٥ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٣)دلائل الإعجاز : ٢٩٩ـ٣٠١ . وانظر : البلاغة تطور وتاريخ : ١٦٣ ، ١٦٨ .

(٤)انظر : دلائل الإعجاز : ٧٣ ، ٧٤ .

(٥)انظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي ، ٢٨٣ ـ ٢٩٧ ، تح : بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٨٥م .

وهذا الفهم العلمي للنظم عند عبدالقاهر الذي يؤكد الصلة الوثيقة بين التفكير والتعبير يلتقي ومفهوم الأسلوب عند ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) الذي يربط الصورة اللفظية بالصورة المعنوية أو الشكل بالمضمون ، وعند بعض الباحثين المعاصرين من أمثال الأستاذ أحمد الشايب الذي يرى أن الأسلوب " معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظاً منسقة ، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان ، وأنه طريقة التفكير والتصوير والتعبير "[(١)].

ومعنى ذلك أن النظم عند عبدالقاهر يعني الأسلوب ، وقد استخدمه في موضع يتيم من كتابه " دلائل الإعجاز " فعرفه بقوله : " والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه ... "[(٢)] مؤثراً مصطلح النظم لشيوعه في الدراسات القرآنية .

هذا ويستمد الزمخشري فهمه للنظم من مفهومه عند عبد القاهر " فنظم الكلام كما يتصوره الزمخشري يعني بيان الروابط والعلاقات بين الجمل ، وكيف يدعو الكلام بعضه بعضاً ، وكيف يأخذ بعضه بحجزه بعض "[(٣)]. وحاول الزمخشري تطبيق نظرية النظم عند عبدالقاهر في تفسيره الكشاف ، وحاول ذلك غيره من المفسرين كالرازي وأبي السعود وغيرهما .

ودخل مصطلح النظم بمعناه عند عبدالقاهر في كتب التعريفات والمصطلحات فقال الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) : " النظم في اللغة : جمع اللؤلؤ في السلك . وفي الاصطلاح : تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ... على حسب ما يقتضيه العقل "[(٤)] كما أشرت آنفاً .

---

(١)الأسلوب : أحمد الشايب : ٤٠ ، ٤٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٦ ، ١٩٦٦ ، وانظر : مقدمة ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلدون : ٥٠٥ ، دار التحرير ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م .

(٢)دلائل الإعجاز : ٣٦١ ، وانظر : الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي : د. شفيع السيد ، ٢٢ ، ٢٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

(٣)البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٢٣٦ .

(٤)التعريفات : ٢٤٢ .

٢- سورة النبأ :

أ- أسماؤها وتاريخ نزولها وسببه :

لهذه السورة الكريمة أسماء متعددة . فتسمى سورة النبأ لقوله تعالى في مطلعها : " عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ " ، وبه سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة . وتسمى سورة " عم يتساءلون " وسورة " عم " بدون زيادة " يتساءلون " تسمية لها بأول جملة فيها ، وتسمى "التساؤل " لوقوع "يتساءلون " في صدرها ، وتسمى سورة " المعصرات " لقوله تعالى فيها : " وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا "[(١)]. ولا شك في أن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى .

وسورة النبأ مكية ، ومن قصار السور ، وعدد آياتها أربعون آية ، وعدد كلماتها مائة وثلاثون كلمة ، وعدد حروفها ستمائة وتسعون حرفاً[(٢)].

وقد نزلت بعد سورة المعارج ، وقد نزلت سورة المعارج بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة النبأ في ذلك التاريخ[(٣)]. وقيل في سبب نزولها : " إنه لما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ، وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت ، وتلا عليهم القرآن ، جعلوا يتساءلون بينهم . يقولون : ماذا جاء به محمد ؟ وما الذي أتى به ؟ فأنزل الله عَمَّ يتساءلون ، عن النبأ العظيم "[(٤)].

---

(١)انظر : الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، ١٣/١ ، ١٥ ، ٧٣ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٧٨م ، وانظر: التحرير والتنوير : محمد الطاهربن عاشور ، ٥/٣٠ ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

(٢)انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، ٣٧٨ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م ، وانظر : الإتقان في علوم القرآن : ١٥/١ ، والكشاف : جار الله الزمخشري ، ١٧٦/٤ ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) .

(٣)انظر : النظم الفني في القرآن : عبدالمتعال الصعيدي ، ٣٣٧ ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة (بلا تاريخ) .

(٤)انظر : لباب النقول في أسباب النزول : جلال الدين السيوطي ، ٣٢٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م ، وفتح القدير : محمد بن علي الشوكاني : ٣٦٢/٥ ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) .

ب ـ الغرض منها وأقسامها بحسب معانيها :

يقرر الباحثون في بلاغة القرآن أن لكل سورة في القرآن الكريم غرضاً عاماً ترمي إليه ، وتدور حوله آياتها ، وتتبعه معانٍ أخرى تؤكده [(١)].

وسورة النبأ من سور العهد المكي " وهدف ما نزل في هذا العهد من الآيات والسور توطيد أسس العقيدة الإسلامية الجديدة ، وإحلالها محل العقيدة الوثنية " [(٢)]. لذلك فهدف سورة النبأ وغرضها العام يدور حول " إثبات عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون ، والدلالة على أن يوم القيامة ثابت ثباتاً لا يحتمل شكاً ولا خلافاً " [(٣)].

وقد اقتضى ذلك الغرض أن تأتي آيات هذه السورة الكريمة مترابطة الأجزاء متسلسلة المعاني ؛ لتحقق غرضها وتستوفي موضوعها من جميع جوانبه ونواحيه . ويمكن تقسيم سورة النبأ بحسب معانيها ومضامينها إلى خمسة مقاطع أو أقسام :

١ - افتتحت السورة باستفهام يتضمن استنكاراً لتساؤل المشركين عن النبأ العظيم ، وخوضهم فيه إنكاراً واستهزاء " وكأنما هذا التساؤل غير مفهوم ولا معقول فالأمر بديهي معلوم " [(٤)].

واقتضى ذلك تهديدهم ووعيدهم " عَمَّ يَتَسَآءلُونَ . عَنِ النَّبأ العَظِيمِ. الّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلاَّ سَيَعلمونَ . ثُمَّ كَلاَّ سيَعلمُونَ ". وهي افتتاحية مدوية ، تتناسب وحال المخاطبين الغافلين لإيقاظهم واستثارة حسهم وحواسهم .

---

(١)انظر : من بلاغة القرآن : د. أحمد أحمد بدوي ، ٢٣٤ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م .

(٢)من منهل الأدب الخالد : محمد المبارك ، ٣٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ط/٤ ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م .

(٣)انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين البقاعي ، ٢٩٤/٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م ، وصفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، ١٣٥٤/٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

(٤)مشاهد القيامة في القرآن : سيد قطب ، ١٨٨ ، دار الشروق، بيروت (بلا تاريخ).

٢ - ثم تقيم السورة الدلائل والبراهين على كمال قدرة رب العالمين على ما يشاء من أمر المعاد وغيره بطريقة برهانية باهرة تضطر العقل إلى التسليم والإذعان؛ فإن الذي يقدر على خلق العجائب والبدائع كالأرض والسماء وما بينهما لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فنائه " أَلَمْ نَجْعلِ الأَرْضَ مِهَادًا . وَالجبالَ أوتادًا . وَخَلَقْناكُمْ أَزْوَاجاً . وَجَعَلْنَا نومَكُمْ سُبَاتاً . وَجَعَلْنَا اللّيل لِباساً . وَجَعَلْنَا النَّهار معاشاً . وبَنَيْنَا فَوقَكُمْ سَبْعًا شِدَاداً . وَجَعَلْنَا سِراجًا وَهَّاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِراتِ مَآءً ثَجَاجًا . لِنُخرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً " .

٣- ولما أثبتت السورة حقيقة البعث والجزاء حددتْ وقته وميعاده وعلاماته، وهو يوم الفصل بين العباد ، يوم القيامة ، حيث يجمع الله الأولين والآخرين للحساب " إنّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتًا . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً . وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا " .

٤- ثم شرعت السورة في تفصيل أحكام الفصل والجزاء من رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مصورة مصير الطغاة ومصير التقاة ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب في مشهدين متقابلين متضادين : مشهد العذاب للكافرين بكل قوته وعنفه : " إِنَّ جَهَنَّمَ كانتْ مِرْصَادًا . للطَّاغِيْنَ مَآبًا . لاَّبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا . لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَابًا . إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وِفَاقًا . إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا . وَكُلَّ شيءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا . فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُم إِلاَّ عَذَابًا " . ومشهد النعيم للمتقين وهو يتدفق تدفقاً : " إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًا . حَدَئِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَواعِبَ أَتْرَابًا . وَكَأْسًا دِهَاقًا . لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ كِذّابًا . جزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا . رَّبِّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحمنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا..." .

٥ - وتختم السورة بالحديث عن هول يوم القيامة ، وأنه حق لا ريب فيه ، وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم ، حيث يتمنّون حينئذ أن يكونوا ترابا فلا يحشرون ولا يحاسبون " ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا . إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا. يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا " .

ذلك تحليل مجمل لمنهج السورة في عرض مضامينها ، ومن خلاله تبدو وحدتها الموضوعية ، فهي نسيج واحد تتسلسل معانيها ، وتتعانق أجزاؤها ومقاطعها ؛ لتستوفي مقصودها ، وتحقق هدفها وغرضها العام ، فآياتها من مطلعها إلى ختامها تدور حول محور واحد هو إثبات عقيدة البعث والجزاء ، وتقرير حقيقة يوم القيامة . فمن سؤال استنكاري عن خوض المخاطبين في النبأ العظيم استهزاء وإجابة عنه إلى تهديد يعقبه ، إلى استدلال على ثبوته وصحة وقوعه وتحديد وقته ، وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباً ، إلى تأكيد حقيقته وأنه لا ريب فيه ، وإنذار المكذبين له .

هذا وقد جاءت تلك المقاصد والمعاني في نظام بيانيّ فريد ، وفي نسق بلاغي معجز يتبوّأ من البلاغة ذروتها . وفيما يأتي دراسة لأسرار نظم هذه المعاني ، وخصائصه البلاغية ، مقسمة بحسب عناصر النظم وأجزائه : اللفظ والتركيب والتصوير .

* * *

الفصل الأول : من خصائص اللفظ في سورة النبأ :

إذا كانت اللفظة في الاستخدام العادي للغة أداة في توصيل المعنى ، فهي في الاستعمال البليغ وسيلة جمالية تسهم داخل العبارة أو النص في نقل الأفكار والمعاني وتصويرها بغية الإقناع والإمتاع والتعبير والتأثير.

وقد اهتم العرب بألفاظهم ودققوا في انتقائها ؛ لتؤدي وظيفتها . يقول ابن جنّي مشيرا إلى هذا الاهتمام : " فإنها (الألفاظ) لما كانت عنوان معانيها ، وطريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها ، أصلحوها ، ورتبوها ، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع ، وأذهب بها في الدلالة على القصد "(١). وعنايتهم باللفظ نابعة من عنايتهم بالمعنى لأن " اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ... "(٢).

ولذلك عُني البلاغيون والنقاد بالألفاظ مفردة ومركبة ، ووضعوا لها صفات ومقاييس تحسن بها إذا توفرت فيها ، وتقبح إن خلت منها ، وهي مبثوثة في كتب البيان والبلاغة كالبيان والتبيين وسر الفصاحة والمثل السائر(٣)، وقد أجملها البلاغيون المتأخرون في قولهم :" أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف

---

(١)الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : محمد علي النجار ، ٢١٥/١ ، ٢١٦ ، دار الكتب المصرية ط/٢ ، ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م.

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : الحسن بن رشيق القيرواني ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، ١٢٤/١ ، دار الجيل ، بيروت ، ط/٤ ، ١٩٧٢م.

(٣)انظر : البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ٨٣/١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٧٨ . ط/٤ ، بيروت ، ١٩٤٨م ، وانظر : سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، تح : عبدالمتعال الصعيدي ، ٥٤ ، ٨٢ ، مطبعة صبيح ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م ، وانظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير ، تح : د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، ٢٤٥/١ ـ ٤٥١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ط/٢ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

والغرابة ومخالفة القياس اللغوي...وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها..."(١).

والقرآن الكريم نزل " بلسان عربي مبين " ، وألفاظه ـ كما يقول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) : " هي لب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ... " (٢). والمفردة القرآنية لها من حيث ذاتها أي بغض النظر عن موقعها من الآية أو الجملة خصائص جمالية تلتقي في عمومها مع السمات الجمالية للفظة المفردة في غير القرآن ، ثم تتجاوزها إلى الإعجاز بما لها من خصائص في سياقها الذي ترد فيه .

ومن خصائص اللفظة القرآنية تميزها بدقة اختيارها ، وجمال وقعها في السمع ، واتساقها الكامل مع المعنى ، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى (٣).

ومن مظاهر تميز اللفظة في سورة النبأ الدقة في اختيارها ووضعها في موضعها فهي مختارة من بين مجموعة من الألفاظ وهو اختيار اقتضاه دقة معنى الآية أو الجملة الواردة فيها ، وهي متمكنة في موقعها في الجملة كأنها خلقت لذلك خلقاً .

وقد دعا القرآن ألا يستخدم لفظ مكان آخر فقال تعالى : " قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَـمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " (٤).

---

(١)بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : ١٢/١ ، ١٧ .

(٢)المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، تح : محمد خليل عيتاني ، ١٠ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

(٣)انظر : التعبير الفني في القرآن : د.بكري شيخ أمين ، ١٨١ ، دار الشروق ، بيروت ، ط/٣ ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

(٤)سورة الحجرات : ١٤ .

وقد نبه علماء البيان والمفسرون إلى هذه الخاصية في نظم القرآن كالجاحظ [١] والخطابي [٢] وابن عطية الذي قال : " كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد ... " [٣].

- واختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها تبدو في سورة النبأ - كسائر سور القرآن الكريم - في غاية الدقة والإبداع المعجز ، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها تستخدم السورة منها ما يؤدي معناه في دقة فائقة ، فكل لفظة منها وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء . من ذلك لفظة " النبأ " في مطلع هذه السورة الكريمة " عَمَّ يَتَسَاءلونَ . عَنِ النَّبأ العظيمِ " . فالمراد بالنبأ العظيم القرآن ، وقيل : البعث من القبور ، وهو رأي الجمهور ، وهو الأظهر كما يقول ابن كثير [٤]، وهو الأنسب بالآيات كما يقول الألوسي [٥].

وأوثر التعبير بلفظ " النبأ " على الخبر لأنه أدق في أداء المعنى المراد لأن النبأ الخبر عن أمر عظيم هام يعنى به ويهتم بشأنه . يقول الراغب " النبأ خبر ذو فائدة عظيمة ، يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة (ويكون صادقاً) ... " [٦]. ويقول صاحب التحرير والتنوير : " وهذا فرق حسن ، ولا أحسب البلغاء جروا إلا على نحو ما قال الراغب ، فلا يقال للخبر عن الأمور المعتادة : نبأ ... " [٧] . وإذا كان " النبأ " لا يقال إلا لخبر عظيم الشأن فما السر

---

(١) انظر : البيان والتبيين : ١/٢٠ ، وانظر : بيان إعجاز القرآن : ٢٦ .

(٢) انظر : البيان والتبيين : ١/٢٠ ، وانظر : بيان إعجاز القرآن : ٢٦ .

(٣) المحرر الوجيز : ابن عطية الأندلسي ، تح : المجلس العلمي بفاس ، ١/٣٨ ، ٣٩ ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

(٤، ٥) انظر : تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تح : سامي بن محمد السلامة ، ٨/٣٠٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م ، وروح المعاني : شهاب الدين محمود الألوسي ، ٥/٢٠١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م ، والتفسير الكبير : فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، ٣١/٥٠٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢١هـ ، والمحرر الوجيز : ٥/٤٢٣ ، ونظم الدرر : ٨/٢٩٥ ، وفتح القدير : ٥/٣٦٢ ، وصفوة التفاسير : ٣/١٣٥٥ .

(٦) المفردات في غريب القرآن : ٤٨٢ .

(٧) التحرير والتنوير : ٣٠/٩ .

البلاغي في وصفه بالعظيم في هذه الآية ؟ يقول صاحب نظم الدرر : " ... ولما كان في مقام التفخيم له وصفه تأكيداً بقوله : العظيم " (١). ففي الوصف " زيادة في التنويه به ؛ لأن كونه وارداً من عالم الغيب زاده عظم أوصاف وأهوال ... " (٢).

ـ ومن الدقة في اختيار الألفاظ ما نلحظه في آيات المقطع الثاني الواردة في سياق الاستدلال على صحة وإمكان البعث بخلق المخلوقات العظيمة الدالة على قدرة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ على إعادة خلق الإنسان بعد فنائه : " أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا . وَالجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فوقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهّاجًا ... " .

تأمل هذه الآيات الكريمة تجدها آثرت التعبير بفعل " جعلنا " عند الاستدلال بخلق الأرض والجبال ونظام النوم في الإنسان والليل والنهار والشمس دون فعل خلقنا الذي استعمل عند الاستدلال بخلق الإنسان في " وخلقناكم أزواجا " وذلك " لأن فعل الجعل يتعلق بالأحوال وفعل الخلق يتعلق بالذوات " (٣).

فجعل الأرض مهادا يعني خلقها على تلك الحالة ممهدة للخلائق ذلولا لهم ساكنة ثابتة للاستقرار عليها (٤). فاختير التعبير بنجعل دون نخلق " لأن كونها مهاداً حالة من أحوالها عند خلقها أو بعده بخلاف فعل الخلق فإنه يتعدى إلى الذات غالباً ، أو إلى الوصف المقوِّم للذات نحو : " الذي خلقَ الموتَ والحياةَ " (٥).

ومثله إيثار التعبير بجعلنا في " وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا " على خلقنا ؛ لأن النوم كيفية يناسبها فعل الجعل لا فعل الخلق المناسب الذوات . وكذلك قوله " وَجَعَلْنَا

---

(١)نظم الدرر : ٨/٢٩٥ .

(٢)التحرير والتنوير : ٣٠/٩ .

(٣)المرجع السابق : ٣٠/١٢ ، ١٧ .

(٤)انظر : تفسير القرآن العظيم : ٥/٣٠٢ ، وصفوة التفاسير : ٣/١٣٥٥ .

(٥)التحرير والتنوير : ٣/١٣ .

اللّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعَاشاً . وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجًا " . وآثر التعبير بفعل الخلق في " وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً " ؛ " لأنه تكوين ذواتهم فهو أدق

من الجعل ... فالمقصود الاستدلال بخلق الناس ، وبكونهم أزواجا ، فلما كان المناسب لفعل خلقنا أن يتعدى إلى الذوات جيء بمفعوله ضمير ذوات الناس (كاف الخطاب) ، ولما كان المناسب لكونهم أزواجاً أن يساق مساق إيجاد الأحوال جيء به حالا من ضمير الخطاب في خلقناكم ، ولو صرح له بفعل لقيل : وخلقناكم وجعلناكم أزواجا "[1].

ـ ومن الدقة إيثار التعبير بفعل " لنخرج " دون لننبت في قوله تعالى " وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " . " لأن المقصود الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام ألا ترى أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة (ق) هو الامتنان جيء بفعل " أنبتنا " في قوله : " وَنَزَّلْنَا مِن السماءِ ماءً مُّباركاً فأنبتنا به جناتٍ " . ثم أتبع ثانيا الاستدلال به على البعث بقوله : " كَذَلِكَ الْخُروج " ، والبعث خروج من الأرض . قال تعالى : " وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى " ... ووجه إيثار لفظ " جنات " في قوله " وجنات ألفافا" لأنه فيه إيماء إلى إتمام المنة ؛ لأنهم كانوا يحبون الجنات والحدائق لما فيها من التنعم بالظلال والثمار والمياه وجمال المنظر ، ولذلك أتبعت بوصف " ألفافا " لأنه يزيدها حسنا ... "[2].

ـ وإذا انتقلنا إلى المقطع الرابع من السورة الذي يصور عذاب الكافرين " إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا ... فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا " فسنجد إبداعا معجزاً في اختيار المفردات " جهنم ، مرصاداً ، للطاغين ، أحقاباً ، حميماً ، غساقاً " ففيها ضخامة

---

(١)المرجع السابق : ١٦/٣٠ .

(٢)المرجع السابق : ٢٥/٣٠ .

تملأ الفم ، ورعب يملأ الفؤاد ، ولو أبدلت في غير القرآن بمرادفاتها لتغيرت الصورة ولخلت من التأثير ، وانظر إلى " الأحقاب " في قوله : " لابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا " ، وأوثرت على الأيام " لأن الأحقاب - كما روى القرطبي - أهول في القلوب ، وأدل على الخلود "(١).

- وإذا تأملنا المشهد المقابل الذي يصف نعيم المتقين " إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًا . حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا ... " فسنجد الإبداع المعجز في اختيار المفردات ، ومنه إيثار "مفازا" والمراد بها الجنة ونعيمها ، وأوثرت على الجنة " لأن في اشتقاقها إثارة الندامة في نفوس المخاطبين بقوله : " فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " وبقوله : " فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا " (٢).

وخص " الرحمن " بالذكر في قوله : " ربٌّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهَما الرَّحْمَنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا " دون غيره من الأسماء الحسنى " لأن في معناه إيماء إلى ما يفيضه من خير على المتقين في الجنة هو عطاء رحمن بهم .

وفي ذكر هذه الصفة الجليلة تعريض بالمشركين إذ أنكروا اسم الرحمن الوارد في القرآن كما حكى الله عنهم بقوله : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ " (٣).

وإطلاق صفة الرحمن في قوله : " إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ... " على مقام الجلالة إيماء إلى أن إذن الله لمن يتكلم في الكلام أثر من آثار رحمته ؛ لأنه إذن فيما يحصل به نفع لأهل المحشر من شفاعة أو استغفار (٤).

---

(١)الجامع لأحكام القرآن : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تح : هشام البخاري ، ١١٩/١٠ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .

(٢)التحرير والتنوير : ٣٩/٣٠ .

(٣)سورة الفرقان : ٦٠ ، وانظر المرجع نفسه : ٤٤/٣ .

(٤)التحرير والتنوير : ٤٧/٣٠ .

- تنوع التعبير باللفظ عن المعنى :

ومن خصائص اللفظ في سورة النبأ تنوع التعبير به عن المعنى المراد ، وهذا التنوع يأتي لمعانٍ وأسرار بلاغية ، ترتبط بموقع الكلمة في سياق النظم الذي وردت فيه ، ويتمثل ذلك في الصيغ والظواهر البلاغية الآتية : التنكير والتعريف ، والإظهار والإضمار ، والتعبير بالماضي عن المستقبل والالتفات .

أ - التنكير والتعريف :

وهما من أحوال أجزاء الجملة ، والمعنى الأصلي للتنكير الدلالة على فرد غير معين من أفراد الجنس ، ويأتي لمعانٍ بلاغية (١) تستفاد من علاقة الكلمة النكرة بالسياق والمقام الذي وردت فيه ، ومنه في سورة النبأ قوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا " فتنكير " ماء " لإفادة التكثير . ومنه تنكير " أفواجا " للتكثير في قوله : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " والمراد بالنفخة نفخة البعث من القبور إلى الموقف ، وأفواجا : أي جماعات جماعات وأمماً أمماً .

ومنه تنكير " خطابا " في قوله : " لا يملكون منه خطابا " والمعنى : لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه ، والتنكير للتقليل أي لا يملكون معه خطاباً ولو كان قليلا ، جملة أو كلمة . ومنه تنكير " عذابا " للتهويل في قوله : " إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا " فهو لبيان شدة العذاب وقسوته ، ووصفه بأنه قريب لتحقق وقوعه ، وعبر بكلمة " أنذرناكم " لما لها من الفاعلية في التخويف ، فالإنذار ينبئ بنهاية التخويف وبعد مداه (٢).

والتعريف ضد التنكير ، ويأتي لمعان بلاغية تختلف باختلاف أنواع المعارف (٣). ومنه في هذه السورة الكريمة تعريف " النبأ " باللام أو بأل في قوله " عن النبأ العظيم "

(١)انظر : بغية الإيضاح : ١٠١/١ وما بعدها ، ٣٠٢ وما بعدها .

(٢)انظر : التحرير والتنوير : ٩/٣٠ ، ١٠ ، وانظر : البلاغة القيمة : د. عبدالقادر حسين ١٤ ، ١٥ ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

(٣)انظر : بغية الإيضاح : ٨٢/١ وما بعدها ، ٢٠٢/١ وما بعدها .

فالتعريف فيه للجنس على وجه ، فيشمل كل نبأ عظيم أنبأهم الرسول ﷺ به ، وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله ، وما تضمنه القرآن من إبطال الشرك ، ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة (١).

ومن تعريف المسند إليه بالإشارة للتعظيم قوله : " ذلك اليوم الحق ... " ففي " ذلك " إشارة إلى يوم القيامة ، تفيد بعد منزلته وتعظيمه ، وهو حق لأنه يدمغ كل باطل ، وعرف اليوم "الحق" باللام للدلالة على كماله في هذا المعنى ، وفيه تخصيص له بالحق وما عداه فهو باطل (٢).

ب- الإضمار في موضع الإظهار والإظهار في موضع الإضمار :

وهما من صور خروج اللفظ على خلاف مقتضى الظاهر ، وخروج الإضمار والإظهار عن مقتضى الظاهر لنكت وأسرار بلاغية (٣). يسهم في تحديدها سياق الكلام وقرائن الأحوال، ويدركها من كان ذا ذوق بلاغي سليم.

ومن الإضمار في مقام الإظهار قوله تعالى : " عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ " فالضمير في "يتساءلون " لكفار قريش ، وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حسّا ، مع ما في الإضمار من التحقير والإهانة لإشعاره بأن ذكرهم مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم . وأجاز بعض المفسرين أن يكون ضمير يتساءلون للناس عموما ، فيشمل الكافرين والمؤمنين . وسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وإيماناً ، وسؤال غيرهم

---

(١)انظر : التحرير والتنوير : ٩/٣٠ ، ١٠ .

(٢)انظر : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد العمادي : ٣٢٢/٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م ، والبلاغة القيمة : ١٤ .

(٣)انظر: بغية الإيضاح : ١٤٧/١ ـ ١٥٠ ، وانظر : علوم البلاغة : أحمد مصطفى المراغي ، ١٤٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

ليزدادوا كفراً وطغياناً [1]، وهو خلاف ما يقتضيه الوعيد في قوله : " كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ" فإنه إنما يتوجه إلى الكفار .

ومن الإظهار في مقام الإضمار قوله تعالى : " لِلطَّاغِينَ مَآبًا " فالمراد بالطاغين المشركون المخاطبون بقوله : " فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " وعدل عن الإضمار إلى الإظهار لقصد الإيماء إلى سبب جعل جهنم لهم ؛ لأن الشرك أقصى الطغيان . فالمشركون أعرضوا عن عبادته تعالى وهم المقصود من معظم ما في السورة . فالتعبير بالطاغين إظهار في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بوصف الطغيان ؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال : لكم مآبا . وهذا على عد جملة " إِنَّ جهنّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا " في موضع خبر ثان من قوله : " إن يوم الفصل ... " ويجوز أن تكون جملة " إن جهنم..." مستأنفة استئنافا بيانيا عن جملة "إن يوم الفصل " وعليه فليس في قوله " للطاغين مآبا " تخريج على خلاف مقتضى الظاهر [2].

ومن الإظهار في موضع الإضمار قوله تعالى : " ربِّ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا . يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " فإظهار الرحمن في مقام الإضمار " للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدًا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ... " [3].

ومن وضع الظاهر موضع المضمر قوله : " يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابا " فالمراد بالمرء ـ كما يقول المفسرون ـ الكافر لقوله تعالى : " إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا " وعليه فالكافر وضع موضع الضمير لزيادة الذم . وقيل : المرء عام للمؤمن والكافر وقيل : هو المؤمن ، وعليهما فلا شاهد في الآية [4].

---

(١)انظر : التفسير الكبير : ٤/٣١ ، والمحرر الوجيز : ٤٢٣/٥ ، وروح المعاني : ٢٠٢/١٥ ، وفتح القدير : ٣٦٣/٥ .

(٢)انظر : التحرير والتنوير : ٣١/٣٠ـ ٣٣ .

(٣)تفسير أبي السعود : ٣٦٢/٦ .

(٤)انظر : الكشاف : ١٨٠/٤ ، وتفسير أبي السعود: ٣٣٣/٦ ، وروح المعاني ٢٢٤/١٥ .

جـ - التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي :

ومن صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر المتصلة بصيغ الأفعال التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي " تنبيها على تحقق وقوعه "[(١)].

ومنه في سورة النبأ قوله تعالى : " وَفُتِحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا " فقد فسر الفتح بالشق ، وعبر بالماضي ليدل على تحقق وقوع الفعل أي تفتح السماء على وجه اليقين لتنزل الملائكة . وكانت بمعنى صارت ، وقرئ بالتشديد " فُتّحت " وهو الأنسب ـ كما يقول المفسرون ـ بقوله : " فكانت أبوابا " لدلالة تنكير " أبوابا " على التكثير أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة ، وإيثار التعبير بالفتح " للإشارة إلى كمال قدرته تعالى حتى كان شق هذا الجرم العظيم لفتح الباب سهولة وسرعة "[(٢)].

ومنه قوله : " إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتًا " فكان بمعنى يكون وعبر عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه . وقيل كان في الآية لا تفيد المضي ؛ لأن يوم الفصل غير مقيد بالزمن الماضي ، فهو أمر مقرر لا جدال فيه ، قبل حدوث الزمان أيضا ولذا أكد بإن وعلى هذا فلا شاهد في الآية[(٣)].

ومنه قوله : " وقال صوابا " أي ويقول ، فعبر عنه بالماضي لإفادة تحقق ذلك في علم الله .

د - الالتفات :

وهو من صور الخروج عن مقتضى الظاهر ، ويدور معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء . وهو عند جمهور البلاغيين " التعبير عن معنى بطريق من

---

(١)انظر : بغية الإيضاح : ١٦٢/١ .

(٢)روح المعاني : ٢١٢/١٥ ، وانظر: تفسير أبي السعود : ٣٥٨/٦ ،والبلاغة القيمة: ١٠ .

(٣)انظر : روح المعاني : ٢١٢/١٥ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٨/٦ ، والبلاغة القيمة : ٩ .

الطرق الثلاثة (التكلـم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بطريق آخر منها " [١].

وعند الزمخشري والسكاكي مخالفة مقتضى الظاهر في التكلم والخطاب والغيبة سواء تقدم التعبير عنه أم لا [٢]. وهو فن من البلاغة يكسب الأسلوب تلويناً وتنويعاً يجذب السامع ، ويثير انتباهه فتزداد المعاني تقريراً في نفسه .

وهو ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم ، ويرد في صور متعددة [٣]. ومنه في سورة النبأ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله : " عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ " فيكون الضمير جماعة المخاطبين ، ومقتضى الظاهر أن يقال : " تتساءلون " . ويجوز أن يكون ضمير يتساءلون ضمير جماعة الغائبين مراداً به المشركون كما أسلفت ، وعليه فلا يكون من باب الالتفات [٤]. ومنه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب على قراءة " سَتَعْلَمون " بالتاء . يقول أبو السعود : " وقرئ " ستعلمون " بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق مما بعده من الخطابات تشديداً للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما تُؤهم ، فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى " [٥]. ويقول صاحب نظم الدرر : " إنه أعظم في الوعيد وأدل على الاستعطاف للمتاب " [٦].

---

(١)انظر : لسان العرب " لفت "، وبغية الإيضاح : ١٥٢/١ .

(٢)انظر : الكشاف : ١٠/١ ومفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ، ٩٦ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م .

(٣)انظر : مفتاح العلوم : ٩٦ ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٨١/٢ ، والإيضاح : ١٥٧/١ وما بعدها .

(٤)انظر : التحرير والتنوير : ٨/٣٠ .

(٥)تفسير أبي السعود : ٣٥٤/٦ ، وانظر : روح المعاني : ٢٠٤/١٥ .

(٦)نظم الدرر : ٢٩٦/٨ .

ومنه قوله : " ألم نجعل الأرض مهادا " التفات من الغيبة إلى الخطاب على القراءة المشهورة في " سيعلمون " بالياء للمبالغة في الإلزام والتبكيت "[1]. يقول ابن عاشور : " والكلام موجه إلى منكري البعث وهم الموجه إليهم الاستفهام ، فهو من قبيل الالتفات ؛ لأن توجيه الكلام في قوة ضمير الخطاب بدليل عطف " وخلقناكم أزواجاً " [2].

* * *

(١)انظر : تفسير أبي السعود : ٦/٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢)التحرير والتنوير : ١٢/٣٠ .

الفصل الثاني : من خصائص التركيب في سورة النبأ :

التركيب عند النحاة مقابل للإفراد ، ويطلق في اصطلاحهم على الجملة " المفيدة فائدة يحسن السكون عليها " (١). والجملة القرآنية بناء محكم ، تألفت من كلمات قد اختيرت أدق اختيار ، وانتظمت في سلك من النظام ، فلا ضعف ولا تعقيد ، بل حسن تأليف ودقة تنسيق ، وتلاؤم وإحكام وإتقان .

" وهي تتبع المعنى ... فتصوره بألفاظها ؛ لتلقيه في النفس حتى إذا استكملت الجملة أركانها برز المعنى ظاهراً فيه المهم والأهم ، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية ... ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا مَعْدَىً عنه ... " (٢).

وإذا كان علماء البلاغة يجعلونها في درجات أو طبقات ، فإنهم مقرّون بأن نظم القرآن وبناء جمله وتراكيبه في الطرف الأعلى من البلاغة الذي هو حدّ الإعجاز القرآني .

ومن خصائص الجمل والتراكيب في سورة النبأ تنوعها إلى جمل إنشائية وخبرية واسمية وفعلية ، ومن خصائصها التقديم والتأخير والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وفيما يأتي دراسة لبلاغتها وأسرار النظم القرآني فيها .

١- الجملة الخبرية والإنشائية :

تنقسم الجملة المفيدة إلى قسمين : خبرية وإنشائية . ويعرّف الخبر بأنه " كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده ، كقولك : قام زيد ، فقد أفدته العلم

---

(١)شرح ابن عقيل : بهاء الدين عبدالله بن عقيل ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ١٩/١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

(٢)من بلاغة القرآن : ١٠٥ .

بقيامه ... "[1]. ويعرف أيضاً بأنه : " كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته "[2].

والجملة الخبرية هي الغالبة في سورة النبأ ، وقد أتت مؤكدة بتكرار الجملة لتأكيد الإنذار والوعيد كقوله تعالى : " كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ " ، وقد وردت مؤكدة بأدوات التوكيد على صورة الخبر الطلبي أو الإنكاري كقوله تعالى : " إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتًا " وهو تأكيد اقتضاه حال المخاطبين المتسائلين عن النبأ العظيم المختلفين فيه بين شاك فيه ومكذب به أو منكر له[3]. وجاءت الجملة الخبرية مؤكدة للدلالة على الاهتمام بالخبر لئلا يشك فيه أحد كقوله تعالى : " إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًا " وكقوله تعالى : " إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا " فالتأكيد بإن في الآية للاهتمام بالخبر وليس لرد الإنكار إذ لا ينكر أحد أنهم لا يرجون حساباً ، أي لا يرجون وقوع الجزاء ، وأنهم مكذبون بالقرآن[4].

وقد أتت الجملة الخبرية مؤكدة بالقصر على رأي من يعده من أساليب التوكيد[5] في قوله تعالى : " لا يَذُوقُونَ فيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا " وفي قوله : " لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " .

وجاءت الجملة الخبرية اسمية تفيد الثبوت كقوله تعالى : " الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ " فصلة الموصول جملة اسمية للدلالة على الثبات ، فاختلافهم في النبأ العظيم متمكن منهم دائم فيهم ، فمن جازم باستحالته ، ومن شاك فيه ، ومن منكر

---

(١)البرهان في وجوه البيان : إسحاق بن إبراهيم بن وهب ، ٩٣ ، تح : د. حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

(٢)انظر : مفتاح العلوم : ٧٨ .

(٣)انظر : فتح القدير : ٣٦٣/٥ .

(٤)انظر : التحرير والتنوير : ٣٥/٣٠ ، ٣٩ .

(٥)انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري ، ٣٩ ، دار الفكر ، ١٩٦٩م .

للقيامة والبعث . ومن بدائع النظم في هذه الآية تقديم الجار والمجرور "فيه " على "مختلفون" لبيان أهمية النبأ الذي اشتد الخلاف حوله ورعاية للفواصل [١].

ووردت الخبرية فعلية ، تفيد التجدد والحدوث كقوله تعالى : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِّحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا " ومن بلاغة النظم في هذه الآيات الكريمة حذف المسند إليه وبناء الفعل للمفعول في " ينفخ ، وفتحت ، وسيّرت " ، وغرضه البلاغي توجيه المخاطب لهذه الأحداث العظيمة دون أن يشغل بغيرها .

وأما الإنشاء فهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته . وينقسم إلى طلبي وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، وأنواعه : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء . وغير طلبي وهو ما لا يستدعي مطلوباً كصيغ المدح والذم ، وصيغ العقود والتعجب والرجاء [٢].

والجملة الإنشائية في سورة النبأ من القسم الأول الطلبي وتأتي على صور متعددة . فمنها ما ورد بصيغة الاستفهام كقوله تعالى :"عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ". قال الزجاج : " اللفظ لفظ استفهام ، والمعنى تفخيم القصة كما تقول : أيُّ شيء زيد إذا عظمت شأنه " [٣]. فالاستفهام في الآية ليس على حقيقته إنما جاء لتفخيم ما يتساءلون عنه وتعظيمه ، فالمعنى عن أي شيء عظيم الشأن يتساءلون . وقد كان المشركون يتساءلون عن النبأ العظيم ، ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً فجاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين [٤].

---

(١)انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٣/٦ والتحرير والتنوير : ١٠/٣٠ .

(٢)انظر : شروح التلخيص : سعد الدين التفتازاني ، بهاء الدين السبكي ، ابن يعقوب المغربي : ١٦٣/١ - ١٩٠ ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧م ، وبغية الإيضاح : ٣٢/٢ .

(٣)معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق الزجاج ، تح : د. عبدالجليل شلبي ، ٢٧١/٥ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(٤)انظر الكشاف : ١٧٦/٤ ، والبحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، ٤١٠/٨ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ط/٢ ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م ، وصفوة التفاسير : ١٣٥٥/٣ . وتفسير البيضاوي المسمى أنوار

وجاءت صيغة الاستفهام للتقرير في قوله تعالى : " أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا " وما عطف عليه ؛ لأنها تنفي النفي فيكون إثباتاً ، أي أقررتم بأن الله جعل لكم الأرض مهاداً وفراشاً .

ومنها ما ورد بصيغة الأمر للتوبيخ والتقريع في قوله تعالى : " فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا " ، والأمر في الآية مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات . قال الرازي : " هذه الفاء للجزاء ، فنبه على أن الأمر بالذوق معلل بما تقدم من قبائح أفعالهم " (١). والمعنى " فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذاباً فوق عذابكم " (٢). وهذه الآية في غاية الشدة على الكفار فقد روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : " هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار ، كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه " (٣)ودقة نظمها دال على المبالغة في التعذيب . فالأمر بالذوق جاء على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب " للمبالغة لتقدير إحضارهم وقت الأمر ليخاطبوا بالتقريع والتوبيخ وهو أعظم في الإهانة والتحقير " (٤)، وجملة الاستثناء جاءت مصدرة بحرف " لن " المفيد تأييد نفي ترك الزيادة أو تأكيد معنى الخلود في العذاب وفي ذلك ما فيه من الدلالة على تبالغ الغضب وشدته (٥).

التنزيل وأسرار التأويل : عبدالله بن عمر البيضاوي : ٥٦٠/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

(١)انظر : فتح القدير : ٣٦٧/٥ ، والتفسير الكبير : ١٨/٣١ .

(٢)صفوة التفاسير : ١٣٥٧/٣ .

(٣)التفسير الكبير : ١٨/٣١ ، وانظر : تفسير البيضاوي : ٥٦٢/٢ ، وتفسير أبي السعود : ٣٦٠/٦ ، وتفسير القرآن العظيم : ٣٠٧/٨ ، ٣٠٨ ،والجامع لأحكام القرآن : ١٢٢/١٠ وفتح القدير : ٣٦٨/٥ .

(٤)حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي : شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي : ٣٩١/٩ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

(٥)انظر : تفسير أبي السعود : ٣٦٠/٦ ، والتحرير والتنوير : ٣٨/٣٠ .

ومن الجملة الإنشائية الطلبية ما ورد بصيغة التمني كقوله تعالى : " وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا " . فأل في الكافر تفيد جنس الكافر الذي يتمنى أن يكون تراباً في الدنيا فلم يخلق ، أو تراباً في الآخرة فلم يبعث ، وذلك لما يشاهده من أنواع العذاب ، وعبر " بليت " لعلمه أن أمنيته لن تتحقق أبداً [(١)] .

هذا ولا شك في أن الانتقال من أسلوب الإنشاء إلى أسلوب الخبر وعكسه في آيات هذه السورة الكريمة له قيمته البلاغية ، فهو ضرب من التلوين في النظم يحرك النص ويبث فيه الحياة ، ويجدد نشاط السامع ويعينه على إدراك المعاني وفهمها .

٢ - التقديم والتأخير :

يمكن تعريف التقديم في نظم الكلام بأنه " تبادل في المواقع ، تَتْرك الكلمة مكانها في المقدمة لتحِلّ محلّها كلمة أخرى ، لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي اقتضته قاعدة الضبط اللغوي "[(٢)] .

وهو من الأساليب الهامة في التعبير ، ومن مظاهر القوة فيه ، وقد عُني به البلاغيون ومن أبرزهم عبدالقاهر الذي بسط القول فيه [(٣)] ، وأشار إلى أهميته ومما قال : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ... "[(٤)] . وهو من خصائص التراكيب في سورة النبأ ، فقد عدلت بعض أجزاء الجملة في بعض آياتها عن مقتضى الظاهر ، فقدم ما حقه التأخير ، وأخر ما حقه التقديم ؛ لأغراض ودواع بلاغية ومنه ما يأتي :

---

(١) انظر : فتح القدير : ٣٧٠/٥ ، والبلاغة القيمة : ١٥ .

(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل : د. منير سلطان ، ١٣٨ ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط/١ ، ١٩٨٨ .

(٣) انظر : دلائل الإعجاز : ٨٣ - ١١١ .

(٤) دلائل الإعجاز : ١٨٩ .

تقديم الظرف على المفعول في قوله تعالى " وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا " للتشويق إليه مع مراعاة الفواصل ، فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له ، فإذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن [١].

ومنه تقديم الحب على النبات وتأخير الجنات في قوله : " لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " . يقول الرازي : " وإنما قدم الله تعالى الحب (مع تأخره عن النبات في الإخراج " ؛ لأنه هو الأصل في الغذاء " يعني لأنه الأهم حيث يتقوت به ولكثرة نفعه وشدة الحاجة إليه فهو غذاء الإنسان في الغالب" ، وإنما ثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات إليه ،وإنما أخر الجنات ؛ لأنه الحاجة إلى الفواكه ليست ضرورية (مثل الحاجة إلى الحب والنبات) [٢].

ومنه تقديم " للطاغين " على " مآبا " فهو متعلق به ، قدم عليه لإدخال الرّوع على المشركين الذين بشركهم طغوا على الله . يقول صاحب التحرير : وهذا أحسن . ولك أن تجعله متعلقاً " بمرصادا " أو متنازعاً فيه بين " مرصادا ومآبا " [٣]. أو لذلك مع إفادة التخصيص . والمعنى إن جهنم مرصاد للكل ومآب للطاغين خاصة . وهم طاغون لاعتقاداتهم الباطلة وديانتهم الزائفة [٤].

ومنه تقديم خبر إن على اسمها في " إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًا " للاهتمام به تنويهاً بالمتقين وهم المؤمنون الذين آمنوا بالنبي - ﷺ - واتبعوا ما أمرهم به ، واجتنبوا ما نهاهم عنه ؛ لأنهم المقصود من مقابلتهم بالطاغين المشركين .

---

(١)تفسير أبي السعود : ٣٥٥/٦ .

(٢)التفسير الكبير : ٩/٣١ ، وانظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٩/٦ ، وروح المعاني : ٢١٠/١٥ ، والبلاغة القيمة : ٩ .

(٣)التحرير والتنوير : ١٣٢/٣٠ .

(٤)انظر : البلاغة القيمة : ١٠٠ .

٣- الإيجاز والإطناب :

الإيجاز ـ كما يقول السكاكي ـ هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط ، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل ... " (١)أو هما ـ كما يقول الخطيب القزويني : " تأدية أصل المراد بلفظ ناقص عنه وافٍ أو زائد عليه لفائدة " (٢). وهما من أهم أساليب البلاغة وفنونها حتى روي عن بعضهم أنه قال : " البلاغة هي الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل " (٣) . قال صاحب الكشاف : " كما أنه يجب على البليغ في مظانّ الإجمال أن يجمل ويوجز ، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع ... " (٤).

أ- والبلاغيون يقسمون الإيجاز إلى إيجاز قصر وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى: " ولكم في القصاص حياة " (٥) وإيجاز حذف وهو ما يكون بحذف . والمحذوف إما حرف أو كلمة أو جملة أو جمل ، ويأتي لأغراض ومعان بلاغية ، ويكثر الحذف في سورة النبأ ، وسأعرض نماذج له مرتبة بحسب ترتيب الآيات في هذه السورة الكريمة .

ـ فمنه حذف الألف في " عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ " أصلها عن ما ، فأدغمت النون في الميم وحذفت الألف ليتميز الخبر عن الاستفهام ، وللتخفيف لكثرة استعماله ودورانه في الكلام (٦). وأضاف صاحب نظم الدرر إلى ذلك " الإشارة إلى أن هذا

(١)مفتاح العلوم : ١٣٣ .

(٢)بغية الإيضاح : ١١١/٢ ، ١١٢ .

(٣)البيان والتبيين : ٩٧/١ .

(٤)الإتقان في علوم القرآن : ٦٩/٢ .

(٥)سورة البقرة : ١٧٩ .

(٦)انظر : المحرر الوجيز : ٤٢٣/٥ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٢/٦ ، وفتح القدير : ٣٦٢/٥ .

السؤال مما ينبغي أن يحذف ، فإن لم يكن فيخفى ويستحى من ذكره ويخفف "[1].
وقد قرئ على الأصل . يقول الزمخشري : " والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل "[2].

ـ ومنه حذف متعلق الجار والمجرور في قوله : " عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ " فعن النبأ متعلق بفعل محذوف تقديره " يتساءلون " . يقول الزجاج : " الكلام تام في قوله : " عم يتساءلـون " ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول : " يتساءلون عن النبأ العظيم " فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي تقتضيه الحال والمجاورة اقتضاباً للحجة وإسراعاً إلى موضع قطعهم "[3].

ومنه حذف المفعول للدلالة على العموم فيه وهو متعلق العلم في قوله : " كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ " قضي الأول البعث وفي الثاني الجزاء على إنكاره " أي " كلا سيعلمون " حقية البعث إذا بعثوا " ثم كلا سيعلمون " الجزاء على إنكاره إذا دخلوا النار وعوقبوا "[4] فهما علمان يحصل لهم بعد الموت : علم بحقيقة البعث وعلم بعاقبة تكذيبهم ، ولذلك حذف المفعول في الموضعين ليعمهما .

ومنه حذف الموصوف في " وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا " فالمراد بالسبع الشداد : السموات ، فهو من ذكر الصفة وحذف الموصوف للعلم به كقوله تعالى : " حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ " ... ولذلك جاء الوصف باسم العدد المؤنث ، إذ التقدير : سبع سماوات[5].

---

(1)نظم الدرر : ٢٩٥/٨ .

(2)الكشاف : ١٧٦/٤ .

(3)المحرر الوجيز : ٤٢٣/٥ .

(4)روح المعاني : ٢٠٤/١٥ ، وانظر : تفسير البيضاوي : ٥٦٠/٢ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٤/٦ .

(5)انظر : التحرير والتنوير : ٢١/٣٠ .

ومنه حذف جملة " ونخرج " في " وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " والتقدير ونخرج به جنات ألفافا، والحذف لدلالة الكلام عليه .

ومنه حذف الفعل في قوله : " وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا " فكل مفعول به لفعل محذوف على الاشتغال أي أحصيناً كل شيء أحصيناه . وقرئ بالرفع على الابتداء [(١)].

ومنه حذف جملتين في قوله : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " فالإتيان هو الحضور بالمكان الذي يمشي إليه الماشي ، فالإتيان هو الحصول . وحذف ما يحصل بين النفخ في الصور وبين حضورهم لزيادة الإيذان بسرعة حصول الإتيان حتى كأنه يحصل عند النفخ في الصور ، وإن كان المعنى : ينفخ في الصور فتحيَون فتسيرون فتأتون [(٢)].

ومنه حذف المفعول في قوله : " إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا " " أي لا يرجون ثواب حساب " . قال الزجاج : " كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم " [(٣)].

ومنه حذف المضاف في " حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا " " أي كروم أعناب " . يقول الشوكاني : " وإذا كان مفازا بمعنى الفوز ، فيقدر مضاف محذوف : أي فوز حدائق وهي جمع حديقة : وهي البستان المحوّط عليه ، والأعناب : جمع عنب أي كروم عنب " [(٤)].

ومنه حذف المبتدأ في قراءة " رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وما بينهما الرحمنُ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا " برفع الرب والرحمن على أن " رب " خبر مبتدأ مقدر : أي هو

(١)انظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢٢/١ ، وتفسير أبي السعود : ٣٦٠/٦ .

(٢)التحرير والتنوير : ٢٨/٣٠ .

(٣)فتح القدير : ٣٦٧/٥ ، وانظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٧٤/٥ .

(٤)المصدر نفسه : ٣٦٨/٥ ، ٣٦٩ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢٢/١ .

رب ، والرحمن صفته . وفي قراءة بخفض الأول " رب " على البدل من ربك ، ورفع الثاني " الرحمن " على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو الرحمن ، [1] والحذف لتعينه ، وعدم انصراف الذهن إلى غيره .

ومنه حذف الموصوف في " وَقَالَ صَوَابًا " أي كلاماً صواباً ، وحذف المفعول الأول في " اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا " أي اتخذ الإيمان .. ومنه حذف جملة جواب الشرط المقدر في قوله : " ذَلِكَ اليومُ الحقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا " أي إن عرفتم أمر ذلك اليوم فمن شاء ... " [2].

وبعد فتلك أمثلة ونماذج لإيجاز الحذف في سورة النبأ ، وأما إيجاز القصر فمنه ما يبدو في عرض مشاهد الكون في قوله : " أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ... وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " " فهذا الحشد الهائل من الصور والحقائق والمشاهد تذكر في حيز ضيق مكتنز من الألفاظ والعبارات مما يجعل إيقاعها في الحس حاداً ثقيلا نفاذاً كأنه المطارق المتوالية بلا فتور ولا انقطاع " [3].

ب- وأما الإطناب فيأتي على أنواع مختلفة لدواع وأسرار بلاغية [4]، ومنه في سورة النبأ ما يأتي :

التكرير للتأكيد كقوله تعالى : " كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ " وهو يفيد توكيد الإنذار والوعيد على سبيل التهويل والمبالغة في التشديد ، و " ثم " تفيد أن

---

(١)انظر : فتح القدير : ٣٦٩/٥ .

(٢)الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : محمود صافي ، ٢٢٢/٣٠ ، ٢٢٣ ، دار الرشيد ، دمشق ، ط/٤ ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

(٣)في ظلال القرآن : سيد قطب ، ٣٨٠٣/٦ ، ٣٨٠٤ ، دار الشروق ، بيروت ، ط/١٥ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(٤)انظر : الإيضاح : ٣٠/١ وما بعدها ، وبغية الإيضاح : ١٣٣/٢ وما بعدها .

الوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول ، حيث نزل التراخي والبعد في المرتبة منزلة التراخي في الزمان [(١)].

ومن صور الإطناب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه لفضله جزء آخر مغاير لما قبله . ومنه قوله تعالى : " إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًا . حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا ... " فالمفاز مصدر بمعنى الفوز بالنعمة والنجاة من النار ، وقيل للفلاة مفازة تفاؤلا بالخلاص منها ، وتفسيره ـ تعالى ـ المفاز بالحدائق والأعناب وانتصابهما على أنهما بدل من " مفاز " بدل اشتمال أو بدل كل من كل على طريق المبالغة ... والأعناب جمع عنب : أي كروم عنب وذكر الأعناب بعد الحدائق وهي بعض منها اعتناء بها وبيانا لفضلها [(٢)].

ومنه ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص كقوله تعالى : " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلآئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ ... " واختلف في المراد بالروح في الآية على أقوال منها : إنه جبريل عليه السلام . يقول ابن كثير : ويستشهد لهذا القول بقوله : " نَزَلَ به الروحُ الأمينُ عَلَى قَلبكَ لتكونَ مِن المنذِرين " وهو المختار كما يقول الرازي [(٣)]. وتأسيساً عليه فالروح وهو جبريل ـ عليه السلام ـ داخل في عموم الملائكة ، فقد ذكر مرتين : مرة منفرداً ، ومرة ضمن الملائكة ، تكريماً له ، وتنبيها على فضله وعلو منزلته .

٤ - الفصل والوصل :

يقصد علماء البلاغة بالوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل ترك هذا العطف [(٤)].

---

(١)انظر : بغية الإيضاح : ١٣٦/٢ .

(٢)انظر : فتح القدير : ٣٦٨/٥ ، وروح المعاني : ٢١٨/١٥ .

(٣)تفسير القرآن العظيم : ٣٠٩/٨ ، والتفسير الكبير : ٢٢/٣١ .

(٤)بغية الإيضاح : ٦٢/٢ .

وهو من أهم أساليب البلاغة وأدقّها ، ولأهميته جعله بعض البلغاء حداً للبلاغة حين سئل عنها فأجاب بأنها : " معرفة الفصل من الوصل "[(1)]. ويستهدف باب الفصل والوصل " المناسبات بين المعاني ، وتحديد صلات بعضها ببعض ... كما يتناول مقاطع الكلام ومفاصله عند منتهى أجزاء معانيه ... "[(2)].

وقد عُنِيَ به البلاغيون فوضعوا أصوله وقواعده . فمواطن الفصل تتمثل في كمال الاتصال ، وكمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع . ومواضع الوصل تتمثل في أن تكون الجملة الأولى لها موقع من الإعراب وأريد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعرابي ، وأن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط ، وأن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود[(3)]. وفيما يأتي إجمال لبلاغة الفصل والوصل في سورة النبأ ، ومن خلاله تتضح المناسبات بين مقاطعها ومعانيها :

افتتحت السورة بفصل متوالٍ في ثلاث آيات بعد الآية الأولى " عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ... " .

وهذا الفصل لكمال الاتصال[(4)] بين هذه الآيات لوقوعها جواباً عن السؤال في الآية الأولى " عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ " أو بياناً للإجمال فيها لأنه لما " كان الاستفهام مستعملا في غير طلب الفهم حسن تعقيبه بالجواب عنه بقوله : " عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ " فجاء بياناً لما أريد بالاستفهام من الإجمال لقصد التفخيم ، فبُيِّن جانب التفخيم ... فكأنه قيل

---

(1) البيان والتبيين : ١/ ٨٨ .

(2) دلالات التراكيب : د. محمد أبو موسى ، ٢٦٨ ، دار التضامن ، نشر مكتبة وهبة ، ط/ ٢ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

(3) انظر : بغية الإيضاح : ٢/ ٦٢ وما بعدها .

(4) انظر : شروح التلخيص : ٣/ ٥٤ .

هل يتساءلون عن النبأ العظيم ... "[١]. وجاءت الآية الثالثة مصدرة باسم موصول وقع نعتاً ثانياً للنبأ ، وجملة " هم فيه مختلفون " صلته . ولما اقتضى تساؤلهم عن النبأ العظيم تهديداً ووعيداً فصلت جملة" سيعلمون " الأولى الاستئنافية " لوقوعها موقع الجواب عن السؤال عما قبلها ، ولذلك فصلت ولم تعطف ؛ لأن ذلك طريقة السؤال والجواب "[٢]. ولما أراد تأكيد الإنذار والوعيد تكررت الجملة معطوفة بثم الدالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد .

ويبدأ القسم الثاني الدال على كمال قدرة الله ووحدانيته وإمكان البعث بجملة استئنافية " ألم نجعل الأرض مهادا " ، " وجاء هذا الاستئناف بياناً لإجمال قوله : " عن النبأ العظيم . الذي هم فيه مختلفون " ، وسيجيء بعده تكملته بقوله : " إن يوم الفصل كان ميقاتا "[٣].

ويلي الفصل في صدر هذا المقطع وصل متوالٍ في بقية آياته ، يلفت النظر ، ويوقظ الحس ، ويوجب الاهتمام " أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " .

تأمل جمال هذا الوصل وبلاغته في هذه الآيات الكريمة بعد الفصل السابق . فالواو فيها قد وصلت الجمل بعضها ببعض لمكان الصلة بينها والتناسب " فالوصل في هذه الأسئلة التقريرية جاء ليؤدي فكرة الاتصال والاشتراك في الحكم "[٤].

---

(١) التحرير والتنوير : ٩/٣٠ .

(٢) المرجع نفسه : ١٠/٣٠ .

(٣) المرجع نفسه : ١٢/٣٠ .

(٤) التعبير الفني في القرآن : ٢٥٦ .

وتذوق حسن الوصل ودقة النظم في قوله : " وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا " فهي معطوفة على التقرير الذي في قوله : " أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا " والتقدير وأخلقناكم أزواجا " فكان التقرير هنا على أصله إذ المقرر عليه هو وقوع الخلق ، فلذلك لم يقل : ألم نخلقكم أزواجا ... والمعطوف عليه وإن كان فعلاً مضارعاً فدخول " لم " عليه صيّره في معنى الماضي لما هو مقرر من أن " لم " تقلب معنى المضارع إلى المضـي ، فلذلك حسن عطف " خلقناكم " على " أَلَمْ نَجعلِ الأَرضَ مِهَادًا . والجبـالَ أوتادًا " لتناسب الجملتين في الفعلية ، فكلتاهما تقرير على شيء مضى [(١)].

ويأتي القسم الثالث بيانا لما أجمله قوله : " عَنِ النّبأِ العظيمِ . الّذي همْ فيه مختلفون " مصدرا بآية " إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتًا " ، فجملة " إنَّ يومَ الفصلِ ... " استئناف بياني تلا قوله : " لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتًا ... " فيما قصد به من الإيماء إلى دليل البعث [(٢)]. فالفصل فيه لشبه كمال الاتصال .

ولما ذكر يوم الفصل بيّنه بقولـه : " يَـوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " فيوم ينفخ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له وفائدته : زيادة تفخيم ذلك اليوم وتهويله بتفصيل بعض أحواله وأهواله [(٣)]. وعطف جملة " فتأتون " على جملة " ينفخ " بالفاء لإفادة تعقيب النفخ بمجيئهم إلى الحساب . مع حذف ما يحصل بين النفخ والحضور للدلالة على سرعة الإتيان كما أسلفت .

ثم يأتي تفصيل أحوال يوم الفصل والجزاء مقدما وصف أحوال الكافرين ؛ لأن المقام مقام تهديد ؛ إذْ افتتحت السورة بذكر تساؤل المشركين وتكذيبهم ، ويأتي وصف عذاب الكافرين مصدرا بآية : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا " وهي منفصلة

---

(١)انظر : التحرير والتنوير : ١٤/٣٠ ، ١٥ ، وانظر : بغية الإيضاح : ٩٣/٢ .

(٢)المرجع السابق : ١٤/٣٠ ، ١٥ .

(٣)انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٧/٦ ، وفتح القدير : ٣٦٥/٥ ، والتحرير والتنوير : ٢٨/٣٠ .

عما قبلها للاستئناف البياني فهي " مستأنفة استئنافا بيانياً عن جملة " إن يوم الفصل ... " وماوليها ؛ لأن ذلك مما يثير في نفوس السامعين تطلب ماذا سيكون بعد تلك الأهوال فأجيب بمضمون " إن جهنم كانت مرصادا ... " (١).

ولما كانت جملة " لا يذوقون فيها ... " بياناً لقوله : " لابثين فيها أحقابا ... " فصلت عنها ، فبين الجملتين كمال اتصال ، والاستثناء منقطع ، يعني لا يذوقون فيها برداً يخفف عنهم حر جهنم ، ولا شراباً يسكن من عطشهم ، ولكن يذوقون الحميم والغساق (٢).

ولما حكم الله عليهم بذلك العذاب الشديد علله بقوله : " إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا ... " ؛ ولذلك فصلت هذه الجملة لوقوعها موقع التعليل لجملة " إِنَّ جَهَنَّمَ .... و " إنّ " الواقعة في صدر هذه الجملة التعليلية " إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا " للاهتمام بالخبر وليست لرد الإنكار كما أشرت فيما مضى .

هذا، وبعد أن فرغ السياق من ترهيب الكافرين ووصف عذابهم انتقل إلى ترغيب المتقين ووصف نعيمهم : " إن للمتقين مفازا ... " ولم يفصل بالواو بين مشهدي النعيم والعذاب لما بينهما من كمال التباين والتضاد .

وبعد فلعل فيما أسلفت ما يشير إلى تمام الائتلاف والتناسب بين معاني آيات هذه السورة ومقاطعها وبعض أسرار الفصل والوصل فيها .

٥- نظام الفواصل :

الفاصلة في اللغة " الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام ، وقد فصّل النظم . وعقد مفصّل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة " وتطلق الفواصل في الاصطلاح على " الكلمات التي تختم بها الآيات من القرآن " (٣).

---

(١)التحرير والتنوير : ٣٠/٣٠ ، ٣١ .

(٢)انظر : البلاغة القيمة : ١١ .

(٣)انظر : لسان العرب : مادة " فصل " ، والإتقان في علوم القرآن : ١٢٤/٢ ، ومن بلاغة القرآن : ٧٥ .

والفاصلة القرآنية ركن من أركان الآية لفظا ومعنى ، تتعلق بمضمونها، وتتناسب مع سياق نظمها ، ولها وظيفتها الدلالية والإيقاعية فبها " يتم معنى الآية ويكتمل جرسها الصوتي "[1]. وهي تمثل جزءا مهما من إيقاع السورة .

وقبل أن أتحدث عن طبيعة الفواصل في سورة النبأ ووظيفتها أود أن أشير أن القارئ يشعر بالمناسبة التامة والانسجام الواضح بين معاني هذه السورة وإيقاع ألفاظها وتراكيبها ؛ فهو يتنوع بتنوع أقسامها ومقاطعها . فعدد كلمات كل آية من آيات القسمين الأولين من (١ ـ ١٦) أقلّ من كلمات آيات القسم الثالث : " إِنَّ يوم الفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتًا ... " (١٧ ـ ٢٠) . ويعلل ذلك أحد الباحثين بأن : " الحماسة والتدفق في المقطعين الأولين تحتاج إلى فواصل قصيرة متلاحقة بينما الوصف والتصوير في المقطع الثالث أقل حاجة إلى ذلك "[2]. وهذا مظهر من مظاهر التناسق بين الصوت والمعنى .

وفي القسم الرابع يتجلى هذا التناسق " فالإدغام في النونات وكثرة التنوين والمدود والحركات توحي بامتداد الزمن إلى آفاق لا منتهى لها ، واسترسال في عذاب أبدي دائم " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مَآبًا . لاَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا. لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًاً وَلاَ شَرَاباً . إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقاً . جَزَاءً وِفَاقاً " . وحينما ينتقل السياق إلى وصف نعيم المؤمنين نجد الكلمات والعبارات تنساب رخية هادئة فيها تطاول وامتداد وفيها سرور وانشراح وفيها جلال ووقار .

وتختم السورة " بالإنذار الهادئ والزفرة الحرّى التي يطلقها من فاته الركب ، وضل عن السبيل "[3]. وهكذا تأتي ألفاظ هذه السورة الكريمة مرآة لمعانيها .

(١)انظر : من بلاغة القرآن : ٧٥ .

(٢)انظر : التعبير الفني في القرآن : ٢٥٧ .

(٣)انظر : المرجع السابق : ٢٥٧ .

- وإذا تتبعنا الآيات في سورة النبأ فسنجد تنويعاً وتلويناً في حروف الروي التي تنتهي بها فواصلها . فقد تألفت من تسعة حروف هي :

١- حرف النون في الآيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥) فقد ختمت كل آية بقوله " يَتَسَآءَلُونَ ، مُخْتَلِفُونَ . سَيَعْلَمُونَ " .

٢- حرف الميم في الآية الثانية " عَنِ النَّبَأِ العَظِيمِ " وهذه الآيات الخمس التي تمثل المقطع الأول يوقف عليها كلها بالسكون مسبوقا بحرفي مد : الواو والياء ، وللسكون بعد المد وقع ترتاح له الأذن . يقول سيبويه "إن العرب إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينوّن وما لا ينوّن ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا" [(١)].

٣- حرف الدال في الآيات (٦ ، ٧ ، ١٢ ، ٢١) فقد ختمت كل آية بقوله تعالى : " مِهَاداً . أَوْتَادًا . شِدَادًا . مِرْصَادًا " .

٤- حرف الجيم في الآيات : (٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨) .

٥- حرف التاء في الآيات : (٩ ، ١٥ ، ١٧) .

٦- حرف السين في الآية العاشرة : " وَجعَلْنَا اللَّيلَ لِبَاساً " .

٧- حرف الشين في الآية الحادية عشرة : " وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً " .

٨- حرف الفاء في الآية السادسة عشرة : " وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " .

٩- حرف الباء في الآيات (١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ـ ٤٠) ، والباء أكثر الحروف التي بنيت عليها الفاصلة في هذه السورة ، فقد وردت في ست عشرة آية ، وهي من الحروف الشفوية التي يسهل نطقها في المخرج .

(١)انظر : الكتاب : سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، ٢٩٩/٢ ، ط/١ ، بولاق ، القاهرة ١٣١٦هـ ، وانظر : البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ٦٨/١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ٦٨/١ ، ط/٢ ، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م ، ومن بلاغة القرآن : ٧٥.

ومما يستدعي النظر أن جميع فواصل السورة بعد الخمس الأُوَل أي من (٦ - ٤٠) تتألف من مقطع يتكون من صوت متحرك كالدال في " مِهَادًا " والجيم في " ثَجّاجًا " والسين في " لِبَاسًا " والشين في " مَعَاشًا " والفاء في " أَلْفَافًا " والباء في " شَرَابًا" ومن صوتين ممدودين هما : الألف التي قبل الروي والألف التي بعدها ، وذلك مظهر لوحدة الجرس في فواصل السورة على الرغم من تنوع حروف رويّها . وفي وحدة الجرس مع التنوع تأثير يبلغ مداه في نفس قارئه وسامعه ؛ فلهذين المدين وظيفة إيقاعية ودلالية تتمثل في السماح للصوت بالارتفاع والامتداد في نهاية كل آية بمقدار متناسب ، وامتداد الصوت مرتين في نهايات تلك الآيات يسمح للإيقاع الممدود بالوضوح التام في الأسماع ، فيسهم في إيضاح المعنى وفي بلاغة السورة .

هذا وقد جاءت الفواصل في كل آية من آيات هذه السورة الكريمة متمكنة مطمئنة غير نافرة ولا قلقة ، مناسبة لما قبلها ، يكتمل بها معنى الآية بحيث لو حذفت أو غيرت لاختل المعنى .

* * *

الفصل الثالث : خصائص التصوير في سورة النبأ

التصوير في اللغة مصدر صوره تصويراً فتصور ، ويأتي بمعنى الشكل والهيئة والصفة . جاء في لسان العرب " الصورة في الشكل ... والجمع صُوَر وصِوَر وصُوْر ، وقد صوّره فتصور ... وتصورت الشيء : توهمت صورته ، فتصور لي . والتصاوير التماثيل ... قال ابن الأثير : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته ... "(١).

والتصوير في الدراسات البلاغية يعني التعبير بالصورة البيانية عن المعاني لتقريبها إلى الأذهان وإثارة الوجدان " والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلالا لا يخاطب الذهن وحده ، وإنما يخاطب معه الحس والوجدان ، ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس "(٢).

والتصوير من وسائل القرآن في تحقيق أغراضه وإيصال معانيه ، وهو ـ كما يقول الأستاذ سيد قطب : " الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ... "(٣).

وقد ربط عبدالقاهر الجرجاني وسائل التصوير البياني والبديعي بالنظم وعدها جزءاً منه كما أشرت في التمهيد .

---

(١)انظر : لسان العرب : مادة " صور " .

(٢)نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : صلاح عبدالفتاح الخالدي ، ٧٧ ، دار الفرقان ، عمان ، ط/١ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(٣)التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، ٣٢ ، دار الشروق ، بيروت ، ط : ٣ (بلا تاريخ) .

وصور البيان والبديع وسائر أساليب البلاغة تدخل في مفهوم الصورة الأدبية باعتبارها " الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه أو سامعيه " [1]. أو باعتبارها " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن نظمها الشاعر في سياق بياني خاص ، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني " [2].

وقد عبرت سورة النبأ عن كثير من المعاني والحقائق بصور بيانية رائعة تآلف نظمها واتسق على أروع طريقة في التعبير والتصوير . وتتنوع طرق تصوير المعاني في هذه السورة الكريمة فقد يرد مرة بطريق التشبيه ، وتارة بطريق الاستعارة وطوراً بطريق الكناية وحينا بطريق البديع .

فمن التصوير بالتشبيه قول الله تعالى : " ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتاداً ... وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباساً ... " .

ففي هذه الآيات الكريمة استدلال على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ليؤمن المخاطبون بما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ استدلال على ذلك بعجائب مخلوقاته تعالى وعظيم نعمه ، ومنها الأرض والجبال ونظام النوم في الإنسان ووقته الأليق به وهو الليل ، وقد وظفت الآيات فيما وظفت أسلوب التشبيه لأداء ذلك المعنى وتحقيق ذلك الغرض ، ففيها نطالع صوراً تشبيهية متتابعة . بدأت بقوله : " ألم نجعل الأرض مهادا " . أي ألم نجعل هذه الأرض ممهدة للسير عليها والعمل بها والحياة

(1) أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب ، ٢٤٢ ، دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، ط/٨ ، ١٩٧٣م .

(2) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : د. عبدالقادر القط ، ٤٣٥ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

عليها " فهي للخلق كالمهد للصبي ، وهو الذي مهد له فينوم عليه " [1]. ففي الآية صورة تشبيهية ، فقد شبه الله تعالى الأرض بالمهاد وهو الفراش اللين الوطيء في الاستقرار عليه والانتفاع به . قال البقاعي : " أي فراشاً لكم موطئاً مذللاً يمكن الاستقرار عليه ؛ لتتصرفوا فيها كيف شئتم " [2]. وهي صورة بليغة غرضها توضيح حالة من أحوال الأرض عند خلقها للتأثير في نفوس المخاطبين وإيقاظ عقولهم ولفت أنظارهم ، وهي كونها ممهدة للخلائق ذلولا ملائمة لهم قارة ساكنة ، وذلك دليل على حكمة الله تعالى وكمال قدرته على البعث أو المعاد ، وفيه تذكير بفضل الله يدفع الإنسان إلى الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ من النور والهدى . وقد امتنّ الله تعالى على عباده بجعل الأرض على هذه الصفة في غير موضع من القرآن الكريم [3]. وفي ذلك إشارة إلى عظم هذه النعمة ودلالتها على كمال قدرة الله تعالى وحكمته البالغة .

ومن لطائف النظم في إطار هذه الصورة دقة التعبير بنجعل دون نخلق كما أشرت فيما مضى ، واختيار " مهاداً " وهي لفظة دقيقة مصورة موحية . فقد صورت الغرض من التشبيه بوضوح وأدته في إيجاز بليغ عجيب فأغنت عن ألفاظ كثيرة يمكن أن تعبر عن تلك الصفة التي خلقت الأرض عليها هذا مع حذف عنصرين من عناصر الصورة التشبيهية في هذه الآية أو ركنين من أركانها : أعني أداة التشبيه والصفة المشتركة بين طرفيه .

ويعطف السياق على هذه الصورة صورة أخرى في قوله تعالى : " والجبال أوتادا " أي وجعلنا الجبال كالأوتاد لتسكن الأرض ولا تتحرك ولا تضطرب بمن

(١)التفسير الكبير : ٣١/٦ .

(٢)نظم الدرر : ٢٩٧/٨ .

(٣)سورة البقرة : آية ٢٢ ، وسورة طه : آية ٥٣ ، وسورة الذاريات : آية ٤٨ .

عليها . قال الزمخشري : " أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد " ويقول ابن كثير : " أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقرّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن فيها " [1]. ففي الآية صورة تشبيهية بليغة ، فالجبال للأرض كالأوتاد للخيام تثبتها وتمنعها من الاضطراب كما تمنع الجبال الأرض أن تميد بأهلها . وهذه الصورة مكملة للصورة السابقة . يقول الرازي : " قوله تعالى : " والجبال أوتادا " أي للأرض كي لا تميد بأهلها ، فيكمل كون الأرض مهادا بسبب ذلك " [2].

وتأتي الصورة الثالثة في هذا السياق لبيان وإيضاح ذلك الاستدلال بأقوى أحوال الإنسان شبها بالموت الذي يتلوه البعث وهو النوم . فقال تعالى : " وجعلنا نومكم سباتا " . والسبات اسم مصدر بمعنى السبت أي القطع ، وعليه فالمعنى " وجعلنا نومكم قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم " .

وقيل السبت النوم ، والمسبوت الميت ، من السبت وهو القطع ، لأنه مقطوع عن الحركة ، والمعنى وجعلنا نومكم موتا [3]. وهو اختيار المحققين كما يقول الألوسي لأنه أنسب بالمقام [4].

وعليه ففي الآية تشبيه بليغ ، " فشبه النوم لما فيه من راحة الجسد ـ دون أن تفارقه الروح ـ بالموت ، لأنه أقوى في الظهور ، فجعل النوم بمنزلة الموت في السكون وتلاشي الحركة " [5]. والإضافة في " نومكم " " لزيادة التنبيه للاستدلال أي أن دليل البعث قائم بيّن في النوم الذي هو من أحوالكم وأيضا لأن في وصفه بسبات امتنانا ، والامتنان خاص بهم (أي بالمخاطبين) " [6]. والانقطاع عن

(١)الكشاف : ١٧٧/٤ ، وتفسير القرآن العظيم : ٣٠٢/٨ .

(٢)التفسير الكبير : ٣١/ ٦ ، ٧ .

(٣)انظر : التفسير الكبير : ٧/٣١ ، وفتح القدير : ٣٦٤/٥ .

(٤)انظر : روح المعاني : ٢٠٦/١٥ .

(٥)البلاغة القيمة : ٧ .

(٦)التحرير والتنوير : ١٧/٣ .

الحركة والإدراك والنشاط بالنوم يريح الأجساد والأعصاب ، ويعوضها عن الجهد المبذول في حالة الصحو والانشغال بأمور الحياة ، وهو كما يقول صاحب الظلال : " هدنة للروح من صراع الحياة العنيف ... وضرورة من ضرورات تكوين الحي ، وسر من أسرار القدرة الخالقة ، ونعمة من نعم الله لا يملك إعطاءها إلا إياه ، وتوجيه النظر إليها على هذا النحو القرآني ينبه القلب إلى خصائص ذاته ، وإلى اليد التي أودعتها كيانه ، ويلمسه بلمسة تثير التأمل والتدبر والتأثير والتأثر "[(١)].

وتتميماً للاستدلال بالنوم يعطف عليه الاستدلال بوقته الأليق به وهو الليل "وجعلنا الليل لباسا " أي جعلناه ساتراً لكم يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ويلبسكم ظلمته فتغشيكم كما يغشيكم اللباس [(٢)]. ففي الآية تشبيه الليل باللباس، والصفة المشتركة الستر ؛ لأن كلا منهما يستر المتلبس به . يقول ابن الأثير : " وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن ، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم "[(٣)].

ومن التصوير بالتشبيه في سورة النبأ قوله تعالى : " وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيّرت الجبال فكانت سرابا " وتأتي هاتان الصورتان البليغتان في سياق بيان حقيقة يوم الفصل وعلاماته وبعض مشاهده ، ومنها انشقاق السماء وتسيير الجبال وفناؤها وتلاشيها . وفسر الفتح في الآية الأولى بالشق ففتح السماء انشقاقها كما أسلفت " أي فصارت شقوقها لسعتها كأبواب أو فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب ... "[(٤)]. ففيها تشبيه السماء بالأبواب في التشقق والانصداع ، وهي صورة تشبيه بليغة .

---

(١)في ظلال القرآن : ٣٨٠٥/٦ .

(٢)انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٥/٦ ، وفتح القدر : ٣٦٤/٥ .

(٣)المثل السائر : ١٣٩/٢ .

(٤)روح المعاني : ١٥،٢١٢ .

وتليها صورة للجبال في ذلك اليوم الموعود " وسيرت الجبال فكانت سرابا " " أي سيرت عن أماكنها في الهواء ، وقلعت عن مقارها ، فكانت هباء منبثا يظن الناظر أنها سراب ، والمعنى أن الجبال صارت كلا شيء كما أن السراب يظن الناظر أنه ماء وليس بماء "[1]. ففي الآية تشبيه الجبال بالسراب في " أن كلا منهما يرى على شكل شيء وليس بذلك الشيء ... "[2]. وقد أشرت فيما مضى إلى بعض أسرار النظم الواردة في إطار هاتين الصورتين البليغتين .

هذا وإذا كان النظم القرآني في سورة النبأ قد اعتمد التصوير بالتشبيه طريقا في تجلية حقائقه ومضامينه فإن المتأمل في هذه الصور يدرك قيمتها البلاغية وأثرها في إيضاح المعاني والأغراض وتقريرها في النفوس وبثها في القلوب . فمن مظاهر بلاغتها التناسب والتلاؤم بين طرفي التشبيه فيها . فخلق الأرض ممهدة للخلائق ذلولاً لهم قارة ساكنة لا يلائمها في هذه الحالة إلا الفراش الممهد اللين الوطيء ، وإنه ليصور الغرض من التشبيه أبلغ تصوير .

وإذا كان التشبيه الجيد البليغ كما يرى النقاد[3] تتجاوز وظيفته حدود التشابه الحسي الخارجي ويراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة أو بيان حقيقة فإن التشبيهات القرآنية في هذه السورة وفي سائر سور القرآن الكريم قد حققت أهدافها وأدت أغراضها أبلغ أداء وأدقّه كما أشرت آنفا . وليس الحس وحده هو الذي يجمع بين طرفي الصورة التشبيهية في التشبيهات السابقة ، ولكنه الحس والنفس معا فلفظ السراب في قوله تعالى : " وسيرت الجبال فكانت سرابا " يصور للعين منظر الجبال

---

(١)فتح القدير : ٣٦٥/٥ .

(٢)روح المعاني : ٢١٣/١٥ .

(٣)انظر : الديوان في الأدب والنقد : عباس العقاد والمازني ، ١٧ ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٢١م ، والنقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي هلال ، ٤٤٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣م ، والنقد والنقاد المعاصرون : د. محمد مندور ، ٦٨ ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة (بلا تاريخ) .

وقد صارت هباء منبثاً لا تتماسك أجزاؤها ، ويوحي في الوقت ذاته إلى النفس بمعنى فناء تلك الجبال وتلاشيها في ذلك اليوم الموعود .

ومن التصوير بالاستعارة قول الله تعالى : " وبنينا فوقكم سبعاً شدادا " أي خلقنا سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور [(١)]. فقد شبه البناء بالخلق ، واستعير " فعل بنينا لمعنى خلقنا ما هو عال فوق الناس ؛ لأن تكوينه عالياً يشبه البناء . ولذلك كان قوله " فوقكم " إيماء إلى وجه الشبه في إطلاق فعل " بنينا " وليس ذلك تجريد للاستعارة ؛ لأن الفوقية لا تختص بالمبنيات ، مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار والنظر في تلك السبع الشداد " [(٢)]. والتعبير بالبناء مع أنه مستعمل في أسافل البيت والسقف في أعلاه أبلغ هنا من التعبير بالخلق وأدق " لأن البناء يكون أبعد من الآفة والانحلال من السقف ففيه إشارة إلى أنه وإن كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء " [(٣)]، ومن أسرار النظم في هذه الآية تقديم الظرف " فوقكم " على المفعول " سبعا " للتشويق إليه مع مراعاة الفواصل [(٤)].

هذا ولما عبر عن خلق السموات بالبناء ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها بأسلوب التصوير الاستعاري فقال تعالى : " وجعلنا سراجا وهاجا " أي وجعلناكم أو وجعلنا في السبع الشداد شمسا منيرة ساطعة يتوهج ضؤوها لأهل الأرض ويتوقد [(٥)].

(١)انظر : التفسير الكبير : ٨/٢١ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٥/٦ .

(٢)التحرير والتنوير : ٢٠/٣٠ ، ٢١ .

(٣)التفسير الكبير : ٨/٣١ .

(٤)انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٥/٦ .

(٥)انظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٠٣/٨ ، والتحرير والتنوير : ٢٢/٣٠ .

فقد استعيدت لفظة " السراج " للشمس لتشابههما في التوقد والحرارة والإضاءة واختيار كلمة السراج دقيق كل الدقة ، ففي السراج توقد وحرارة وضوء وهو ما يتوافر في الشمس [١]. وإيثار التعبير بجعلنا دون خلقنا لأن كونها سراجا وهاجا حالة من أحوالها كما أشرت فيما مضى .

ومنه قوله تعالى : " إن جهنم كانت مرصادا " والمرصاد من صيغ المبالغة على زنة مفعال كالمنظار والمعمار والمطعان للراصد الشديد الرصد والترقب ، وصفت به جهنم على طريقة الاستعارة المكنية ، فقد شبهت بالرصد أي الحرس ففيها تشخيص لجهنم ، فهي ترصد أعداء الله وتترقبهم كما يرصد الإنسان عدوه ويترقبه ليأخذه على حين غرة . وقيل المرصاد : المكان الذي يرصد فيه الراصد عدوه كالمضمار أي أن جهنم في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبهم فيها [٢].

ومن التصوير بالكناية والتعريض قوله تعالى : " وخلقناكم أزواجا " . فالمراد بالأزواج الأصناف : الذكور والإناث ، وقيل غير ذلك [٣]. وهذه الجملة معطوفة على جملة " ألم نجعل الأرض مهادا " فهي في معنى أما خلقناكم أيها الناس أصنافاً ذكوراً وإناثاً لينتظم أمر النتاج والتناسل ، ولا تنقطع الحياة على ظهر هذا الكوكب الأرضي . وفي هذا الاستدلال " حمل للمخاطبين على الشكر بالإقبال على النظر فيما بُلِّغ إليهم عن الله الذي أسعفهم بهذه النعم على لسان رسول الله ﷺ ، وتعريض بأن إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية ومكابرتهم فيما بلغهم من ذلك كفران لنعمة واهب النعم " [٤]. وقد مرت الإشارة إلى دقة التعبير بفعل الخلق في هذه الآية .

---

(١)انظر : في ظلال القرآن : ٣٨٠٦/٦ .

(٢)انظر : التفسير الكبير : ١٢/٣١ ، وفتح القدير : ٣٦٦/٥ ، والتحرير والتنوير : ٣٢/٣٠ .

(٣)انظر : فتح القدير : ٣٦٤/٥ .

(٤)التحرير والتنوير : ١٦/٣٠ .

ومنه قوله تعالى : " لابثين فيها أحقابا " فهو كناية عن التأبيد أي ماكثين في النار أبدا . قال القرطبي : " أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب ، وهي لا تنقطع ، فكلما مضى حُقُب جاء حقب ، وهو الدهر والأحقاب الدهور " [1].

ومن أسرار النظم في الآية حذف لفظة الآخرة ؛ لأن المعنى فيها " لابثين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها ؛ فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه " [2]. ومنها إيثار الأحقاب على الأيام " لأن الأحقاب أهول في القلوب ، وأدل على الخلود ... وهذا في حق المشركين ، ويمكن حمل الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب ... " [3].

ومنه قوله تعالى : " إنهم كانوا لا يرجون حسابا " ففيه نفي لرجائهم وقوع يوم الحساب ، وتعريض برجاء المؤمنين وقوعه . " والرجاء اشتهر في ترقب الأمر المحبوب والحساب ليس خيرا لهم حتى يجعل نفي ترقبه من قبيل نفي الرجاء ، فكان الظاهر أن يعبر عن ترقبه بمادة التوقع الذي هو ترقب الأمر المكروه ، فيظهر أن وجه العدول عن التعبير بمادة التوقع إلى التعبير بمادة الرجاء أن الله لما أخبر عن جزاء الطاغين وعذابهم تلقى المسلمون ذلك بالمسرة ، وعلموا أنهم ناجون مما سيلقاه الطاغون ، فكانوا مترقبين يوم الحساب ترقب رجاء ، فنفي رجاء يوم الحساب عن المشركين جامع بصريحه معنى عدم إيمانهم بوقوعه ، وبكنايته رجاء المؤمنين وقوعه بطريقة الكناية التعريضية تعريضاً بالمسلمين ، وهي أيضا تلويحية لما في لازم مدلول الكلام من الخفاء " [4].

---

(١)الجامع لأحكام القرآن : ١١٩/١٠ .

(٢)المصدر السابق : ١١٩/١٠ .

(٣)المصدر السابق : ١١٩/١٠ .

(٤)التحرير والتنوير : ٣٥/٣٠ .

ومنه قوله تعالى : " لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا " فهو كناية عن معيشة أهل الجنة في صفاء ومودة . فكنى عن انتفاء اللغو والكذب عن شاربي خمر الجنة بأنهم لا يسمعونهما فيها ، لأنه لو كانا فيها لسمعوه ، وهي كناية لطيفة توحي بأن أهل الجنة منزهة أسماعهم عن اللغو والكذب ونحوهما [١].

ومنه قوله : " لا يملكون منه خطاباً " فضمير " لا يملكون " لأهل السموات والأرض أي لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه ، فالجملة كناية عن نفي قدرتهم أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه تعالى [٢].

ومن التصوير البديعي التقابل بين مشهد الطاغين في الجحيم " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ... فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا " وبين مشهد المتقين في جنة النعيم " إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًا ... جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا " .

فالطاغون خاسرون ، تترصد بهم جهنم ، وتترقبهم فلا يفلتون منها ولا يتجاوزونها ، فهي مآبهم ومقامهم ، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا ماء حاراً يشوي وجوههم وحلوقهم وبطونهم وإلا ما يغسق ويسيل من أجسادهم من صديد ونحوه ، وذلك جزاء يوافق أعمالهم الفاسدة . أما المتقون فإنهم فائزون بجنة النعيم ، لهم فيها حدائق وأعناب وكواعب أتراب ولهم كأس مليئة هنيئة ، وحياتهم مصونة عن اللغو والتكذيب ، فهم في مودة وصفاء وفي رفعة ومتعة في دار الخلود ، " جزاء من ربك عطاء حساباً " .

والتقابل مظهر من مظاهر التناسق البلاغي ، وطريقة من طرق التصوير [٣]، استخدمه القرآن كثيراً لتنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ ، وينسق بينها بالمقابلات الدقيقة فيؤدي المعنى في صورة معجزة مؤثرة بيِّنة ؛ لأن الأشياء تتميز بأضدادها .

---

(١)انظر : المرجع نفسه : ٤١/٣٠ ، ٤٢ .

(٢)انظر : تفسير أبي السعود : ٣٦١ ، وفتح القدير : ٣٧٠/٥ .

(٣)انظر : التصوير الفني في القرآن : ٨٠ وما بعدها .

الخاتمة :

وبعد ، فلعل فيما ذكرت ما يكشف عن بعض مظاهر الإعجاز النظمي في سورة النبأ ومنه يمكن أن أسجل النتائج الآتية :

١- النظم في اللغة يأتي بمعنى التأليف والجمع والضم والاتساق . وفي الاصطلاح " تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل " . وقد انتهى مصطلح النظم إلى هذه الدلالة بجهود كثير من العلماء والأدباء أبرزهم عبدالقاهر الجرجاني .

٢- يلتقي معنى النظم بالأسلوب عند عبدالقاهر بيد أن النظم هو الشائع في الدراسات القرآنية .

٣- موضوع سورة النبأ وغرضها العام : " إثبات عقيدة البعث والجزاء والدلالة على أن يوم القيامة ثابت لا ريب فيه " . وحوله تدور آياتُها من مطلعها إلى ختامها .

٤- جاءت معانيها في نسق بلاغي معجز يتسم بالوضوح والقوة والجمال .

٥- من خصائص الألفاظ تميزها بدقة اختيارها وتمكنها في موضعها ، ومنها تنوعها في التعبير بها عن المعنى ، وتتمثل في التنكير والتعريف ، والإظهار والإضمار ، والتعبير بالماضي عن المضارع ، والالتفات .

٦- من خصائص التراكيب : التقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب .

٧- من خصائص التصوير : التشبيه والاستعارة والكناية والمقابلات .

هذا والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- **القرآن الكريم** .

٢- **الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي** : د. شفيع السيد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٣- **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر** : د. عبدالقادر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٤- **الإتقان في علوم القرآن** : جلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٧٨م .

٥- **أساس البلاغة** ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تح : عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) .

٦- **الأسلوب** : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٦ ، ١٩٦٦م .

٧- **أصول النقد الأدبي** : أحمد الشايب ، دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، ط/٨ ، ١٩٧٣م .

٨- **الإعجاز البياني للقرآن** : د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة ط/٢ ، ١٩٨٧م .

٩- **الإعجاز النظمي للقرآن**: د. عبدالحميد العبيسي، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

١٠- **الإيضاح في علوم البلاغة** : الخطيب القزويني ، تح : د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط/٥ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

١١- **البحر المحيط** : أبو حيان الأندلسي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

١٢- **البرهان في علوم القرآن** : بدر الدين الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/٢ ، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م .

١٣- **البرهان في وجوه البيان** : إسحاق بن إبراهيم بن وهب ، تح : حفني محمد شرف القاهرة ، ١٩٦٩م .

١٤- **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح** : عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة ، ط/٦ (بلا تاريخ).

١٥- **البلاغة تطور وتاريخ** : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط/٥ . (بلا تاريخ) .

١٦- **بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار** : د. عبدالفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

١٧- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري** : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط/٢ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

١٨- **البلاغة القيمة** : د. عبدالقادر حسين ، دار غريب، القاهرة ، ١٩٩٨م .

١٩- **بلاغة الكلمة والجملة والجمل** : د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط/١ ، ١٩٨٨م .

٢٠- **بيان إعجاز القرآن** : حمد بن محمد الخطابي ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ تح : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ، ١٩٦٨م .

٢١- **البيان والتبيين** : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ط/٤ ، بيروت ، ١٩٤٨م .

٢٢- **تاريخ آداب العرب** : مصطفى صادق الرافعي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

٢٣- **تأويل مشكل القرآن**: عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تح : السيد أحمد صقر ، دار التراث القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

٢٤- **التحرير والتنوير** : محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .

٢٥- **التصوير الفني في القرآن** : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط/٣ (بلا تاريخ) .

٢٦- **التعبير الفني في القرآن** : د. بكري شيخ أمين ، دار الشروق ، بيروت ، ط/٣ ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

٢٧- **التعريفات** : الشريف علي بن محمد الجرجاني ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

٢٨- **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** أبو السعود محمد ابن محمد العمادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

٢٩- **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : عبدالله بن عمر البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

٣٠- **تفسير القرآن العظيم** : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تح : سامي بن محمد السلامة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٣١- **التفسير الكبير** : فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢١هـ .

٣٢- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** : محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٧٠هـ =١٩٥١م .

٣٣- **الجامع لأحكام القرآن** : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تح : هشام البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .

٣٤- **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه** : محمود صافي ، دار الرشيد ، دمشق ، ط/٤ ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

٣٥- **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي** : شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

٣٦- **الحيوان** : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م .

٣٧- **الخصائص** : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية / ط/٢ ، ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م .

٣٨- **دلالات التراكيب** : د. محمد أبو موسى ، دار التضامن ، نشر مكتبة وهبة ، ط/٢ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٣٩- **دلائل الإعجاز** : عبدالقاهر الجرجاني ، تصحيح وتعليق : محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

٤٠- **الديوان في الأدب والنقد** : عباس العقاد وعبدالقادر المازني ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٢١م .

٤١- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : شهاب الدين محمود الألوسي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

٤٢- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** : بهاء الدين عبدالله بن عقيل ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

٤٣- **شروح التلخيص** : سعد الدين التفتازاني ، بهاء الدين السبكي ، ابن يعقوب المغربي ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

٤٤- **صفوة التفاسير** : محمد علي الصابوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

٤٥- **علوم البلاغة** : أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٤٦- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** : الحسن بن رشيق القيرواني ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة دار الجيل ، بيروت ، ط/٤ ، ١٩٧٢م .

٤٧- **فتح القدير** : محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ).

٤٨- **في ظلال القرآن** : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط/١٥ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

٤٩- **القاموس المحيط** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، بولاق ، القاهرة ، ط/٣ ، ١٣٠٢هـ .

٥٠- **الكتاب** : سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، ط١ ، بولاق ، القاهرة ، ١٣١٦هـ .

٥١- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : جار الله محمود ابن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) .

٥٢- **لباب النقول في أسباب النزول** : جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت ط/٢ ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

٥٣- **لسان العرب** : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط/٦ ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

٥٤- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** : ضياء الدين بن الأثير ، تح : د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ط/٢ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٥٥- **المحرر الوجيز** : ابن عطية الأندلسي ، تح : المجلس العلمي بفاس ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٥٦- **مشاهد القيامة في القرآن** : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت (بلا تاريخ) .

٥٧- **معاني القرآن وإعرابه** : أبو إسحاق الزجاج ، تح : د. عبدالجليل شلبي ، عالم الكتب بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

٥٨- **المعجم الوسيط** : إخراج : د. إبراهيم أنيس وزملائه ، ط/٢ ، دار الفكر (بلا تاريخ) .

٥٩- **المغني في أبواب التوحيد والعدل** : القاضي عبدالجبار الأسد آبادي ، تح : أمين الخولي مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م .

٦٠- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري ، دار الفكر ، ١٩٦٩م .

٦١- **مفتاح العلوم** : أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م .

٦٢- **المفردات في غريب القرآن** : الراغب الأصفهاني ، تح : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

٦٣- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** : أبو الحسن الأشعري ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٢ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

٦٤- **مقدمة ابن خلدون** : عبدالرحمن بن خلدون : دار التحرير، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

٦٥- **من بلاغة القرآن** : د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م .

٦٦- **من بلاغة النظم العربي** : د. عبدالعزيز عرفة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

٦٧- **من منهل الأدب الخالد** : محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط/٤ ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م .

٦٨- **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب** : صلاح عبدالفتاح الخالدي ، دار الفرقان ، عمان ، ط/١ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٦٩- **نظرية عبدالقاهر في النظم** : د. درويش الجندي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٧٠- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** : برهان الدين البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

٧١- **النظم الفني في القرآن** : عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة (بلا تاريخ) .

٧٢- **النقد الأدبي الحديث** : د. محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٧٣- **النقد والنقاد المعاصرون** : د. محمد مندور ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة (بلا تاريخ) .

٧٤- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** : فخر الدين الرازي ، تح : د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٨٥م .

* * *